

اجاثا كريستي
السر الرهيب



أجاثا كريستي

{1976 - 1890}

-الكاتبة التي ترجمت رواياتها إلى **103** لغات.

- بيع من كتبها أكثر من **900** مليون نسخة باللغة الإنجليزية وحدها.

- كاتبة روايات بوليسية، ولدت في إنجلترا، تتميز عن جميع الروائيين البوليسيين، مما نصَّبها ملكة عليهم جميعًا. تميَّزت أيضًا بأنّ أشخاص رواياتها أشخاص عاديّون، ولكنّهم تعرضوا في الرواية لظروف أزالت القناع الحضاري عن الوحوش القابعة في أعماق كل إنسان. كذلك لم تلجأ الكاتبة العظيمة إلى عنصر الجنس في رواياتها، على عكس ما اتبعه الآخرون. ولم تهدف إلى الإثارة، ولا تلجأ إليها. ورواياتها تضمَّنت أيضًا أهدافًا إنسانية فحواها أنّ (الجريمة لا تفيد) وأنّ الخير هو المنتصر في النهاية.

السر الرهيب

Elephants Can Remember

«من قتل من؟» هذا السؤال أثارته «أريدان أوليفر» كاتبة القصص البوليسية ... ولكن القصة هذه المرة ليست من نسج الخيال الذي اعتادته في قصصها، وإنما جريمة حقيقية حدثت لها في الماضي البعيد عندما وقعت حادثة انتحار شخصين كانا صديقين لـ«أريدان» طوال اثني عشر عامًا فيما مضى. فما سبب انتحارهما إذن ؟ هذا هو السؤال، وحتى تتوصل إلى إجابة طلبت «أريدان» مساعدة «هركيول». وسوف يكتشفان أمرًا مريعًا خلال البحث. إن الجريمة - كالتاريخ- تعيد نفسها.

ثمن الكتاب

لبنان	5000 ل.ل.	قطر	10 ريالات
سوريا	100 ل.س.	عُمان	1.5 ريال
الاردن	2 دينار	مصر	10 جنيهات
السعودية	10 ريالات	المغرب	30 درهما
الكويت	1 دينار	ليبيا	5 دنانير
الإمارات	10 دراهم	تونس	4 دنانير
البحرين	1.5 دينار	اليمن	400 ريال


ISBN 9953383928
9 789953 383927

ألسر الرهيب

برنارد الأسطه

يقدّم

الرواية المعرّبة

السر الرهيب
(48)

تأليف الكاتبة والأديبة العالمية

أجاثا كريستي

تعريب الأديب

عمر عبد العزيز أمين

الناشر

دار ميوزيك للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ش. م. م

الإدارة العامة والتوزيع

تليفون 666 212 9 961 00 فاكس 665 212 9 961 00

ص.ب 374 جونيه – لبنان

www.inter-press.org Email:info@inter-press.org

وكلاء التوزيع

المركز الدولي – دار البشير

تاليف

Agatha Christie

الاسم الأصلي للكتاب

Elephants Can Remember

الغلاف بريشة الفنان العالمي

عبد العال

السر الرهيب

أهم الشخصيات

- "**هركيول بوارو**" : مخبر سري يعمل لحسابه الخاص.
- "**أريدان أوليفر**" : كاتبة قصص. وخبيرة في عالم الإجرام.
- "**أليستر رفنسكروفت**" : ضابط في الجيش البريطاني.
- "**مرجريت بريستون جري**" : وتُعرف بـ "**موللي**" زوجة الضابط "**أليستر**".
- "**دوروتيا**" : وتُعرف بـ "**دوللي**" الأخت التوأم لـ "**موللي**".
- "**سيليا رفنسكروفت**" : ابنة السيد والسيدة "**رفنسكروفت**".
- "**ديسموند بورتون كوكس**" : رفيق "**سيليا**".
- السيدة "**بورتون كوكس**" : والدة "**ديسموند**" بالتبني.
- الآنسة "**وليفنجستون**" : سكرتيرة السيدة "**أوليفر**".
- الآنسة "**زيلي موهورا**" : مربية عملت عند السيد والسيدة "**رفنسكروفت**".
- "**جوليا كاستيرز**" : مربية أطفال.

الفصل الأول

وقفت السيدة "**أوليفر**" تنظر إلى نفسها في المرآة، وهي غير راضية عن التسريحة الجديدة، وكان من عيوبها أنها دائما تجرب تسريحات جديدة، ثم اختارت قبعة أنيقة ونادت وصيفتها "**ماريا**" التي ساعدتها على ارتداء المعطف والقبعة. وقالت "**ماريا**":

– إنك تبدين في غاية الأناقة. وكانت السيدة "**أوليفر**" تحب "**ماريا**"؛ لأنها دائما تطريها في أية مناسبة.. واستطردت "**ماريا**" قائلة:

– هل ستلقين خطابًا في حفل الغداء؟ وبدا الفزع على السيدة "**أوليفر**":

– خطابًا! كلا بالتأكيد. أنت تعرفين أني لا ألقي خطبا أبدًا.

– حسنا، كنت أعتقد أن هذا هو ما يحدث دائما في حفلات الغداء الأدبية.. إن هذا هو ما ستحضرينه.. أليس كذلك؟ حفل غداء للأدباء المشهورين لعام 1973.

– لا حاجة لي إلى إلقاء خطاب، سيكون هناك عدة أشخاص ممن يحبون إلقاء الخطب وهم أمهر مني في ذلك.

– إني متأكدة من أنه بوسعك أن تلقي خطابا رائعا لو أردت ذلك. ولكن السيدة "**أوليفر**" أكدت لها أنها تجيد التعبير بالكتابة ولكنها ترتبك إن طلبت منها كلمة. قالت "**ماريا**":

– حسنا، أرجو أن تسير الأمور على ما يرام، بل أنا متأكدة من ذلك، سيكون غداء فخما.. أليس كذلك؟ وقالت السيدة "**أوليفر**" بكآبة:

– بلى غداء فخم جدا. واستطردت قائلة لنفسها: "لماذا أنا ذاهبة بحق السماء؟ أظن أني كنت أريد أن أجرب هذا النوع من الحفلات؟ فأنا أُدعى دائما إلى مثل هذه الحفلات الأدبية ولم أذهب قط".

*****

كان الغداء يقترب من النهاية، وكانت السيدة "**أوليفر**" سعيدة وتتنهد بارتياح.

لقد كان غداء فخما وهي تحب الطعام الجيد، كما أنها استمتعت بصحبة المجموعة، فإن الغداء الذي كان تكريما للكاتبات المشهورات لم يقتصر - لحسن الحظ - عليهن، فقد كان هناك كُتّاب آخرون ونقاد وقراء، وكانت السيدة "**أوليفر**" تجلس بين رَجُلين: "**أدوين أوبين**" الشاعر الذي تعجب بشعره، وهو رجل واسع الاطلاع يجيد الحديث في مختلف الأمور، وقد جرى حديثهما بعيدا عن الأدب، وفي الناحية الأخرى كان يجلس السير "**ويزلي كنت**" وهو رجل لطيف جداً، وقد أطرى كتبها بطريقة لبقة وذكية أعجبتها كثيرا، ولم تثرها كما يثيرها الإطراء السخيف الذي لا يعدو أن يكون تملقا.

مر الحفل على ما يرام، ولم يحدث ما يضايقها وقد استمتعت بوقتها وتحدثت مع أشخاص ظرفاء، والآن سينتقلون إلى غرفة أخرى لتناول القهوة، وهذا هو موطن الخطر في نظر السيدة "**أوليفر**"، ففي هذا المكان سيكون بوسع النساء أن يغرقنها بالإطراء المتملق، وسيكون عليها أن ترد عليهن بردود مناسبة ولائقة وبعيدة جداً عما تود أن تقوله حقا.

وكانت السيدة "**أوليفر**" تدرك جيدا أنها لا تجيد هذا النوع من الحوار، وقد حاولت صديقة لها في السلك الدبلوماسي مرة أن تمرّنها على هذا ولكنها فشلت. وانقضّت عليها امرأة ضخمة من هذا الطراز الذي يحب السيطرة.. ويبدو عليها أنها مصممة على التعرف إليها، وقالت بصوت مرتفع:

- السيدة "**أوليفر**"! كم يسعدني أن أتعرف إليك اليوم، فلطالما تمنيت ذلك؛ فأنا وابنتي نحب كتبك حبًّا جمًّا، وكان من عادة زوجي أن يصمم على أن يأخذ معه كتابين على الأقل من كتبك عندما يسافر، والآن أريد استفسارا عن أشياء كثيرة أود أن أسألك عنها. وقالت السيدة "**أوليفر**" لنفسها: "حسنا، إنها ليست طرازي المفضل من النساء، لكن سيان هي أو غيرها". واستسلمت السيدة "**أوليفر**" وانقادت خلف المرأة الضخمة - كما لو كانت ضابطة شرطة - وجلستا على مقعدين وتقبلت منها فنجان قهوة، وقالت:

- الآن وقد جلسنا فسأعرفك إلى نفسي. أنا السيدة "**بورتون كوكس**". وارتبكت السيدة "**أوليفر**" كالعادة.. السيدة "**بورتون كوكس**"؟ هل هي أيضا

كاتبة؟ إنها لا تستطيع أن تتذكر شيئا عنها، ولكن الاسم يبدو مألوفا. ربما كانت كاتبة سياسية! لو كان هذا صحيحا فسيصبح الأمر سهلا، فبوسعها أن تدعها تتحدث، وليس عليها - أي السيدة "**أوليفر**" - إلا أن تقول بين وقت وآخر "كم يبدو هذا شائقًا!" . وقالت السيدة "**بورتون كوكس**" :

- ستدهشين حقًّا مما سأقوله، ولكنني شعرت من قراءتي لكتبك بأنك سيدة متعاطفة وأنك خبيرة بالطبيعة البشرية، وأشعر بأنه لو كان هناك أحد بوسعه أن يجيبني عن السؤال الذي أود أن ألقيه فأنت هذا الشخص. وقالت السيدة "**أوليفر**" وهي تحاول أن تجد الكلمات المناسبة:

- أنا لا أعتقد في الحقيقة... قاطعتها السيدة "**بورتون كوكس**" قائلة:

- إن أول سؤال هو: هل لديك ابنة في العماد اسمها "**سيليا رفنسكروفت**"؟ وفوجئت السيدة "**أوليفر**" وسرت في الوقت نفسه، فهذا موضوع يمكن أن تتحدث فيه دون مشقة.. إن لها عدة أبناء في العماد: بنات وأولاد، وقد قامت بواجبها نحوهم جميعا، ففي طفولتهم ترسل إليهم اللعب في أعيادهم وفي أعياد (الكريسماس). وعندما يكبرون قليلا تحضر إلى مدارسهم وتدعوهم خارج المدرسة في الأيام المخصصة لذلك، ثم عندما يبلغون الحادية والعشرين تتحفهم بمبلغ محترم، أو بهدية زواج قيمة حسبما تكون المناسبة وبذلك تكون - في رأيها- قد أدت رسالتها على الوجه الأكمل. وحاولت السيدة "**أوليفر**" أن تتذكر هذا الاسم، وقالت:

- "**سيليا رفنسكروفت**" . نعم، نعم بالتأكيد، ولكنني أتذكر أنني لم أر "**سيليا**" منذ وقت طويل. قالت السيدة "**بورتون كوكس**" :

- إنها فتاة هوائية.. أعني أنها تغير رأيها كثيرا.. إنها بالطبع مثقفة جدًّا وكانت لامعة في الجامعة، ولكن آراءها السياسية.. اظن ان اغلب شباب اليوم لهم آراء سياسية مختلفة.

- لا أعتقد أن لديّ صلة كبيرة بالسياسة.

- إني سأكشف لك عن أسراري، وسأصارحك بما أريد أن أعرفه وأنا متأكدة من أنه لن يكون لديك مانع، فأنا سمعت من عدة أشخاص أنك سيدة طيبة ومتعاونة.

وسألت السيدة "**أوليفر**" نفسها: "هل تحاول ان تقترض مني شيئا؟" وكانت السيدة "**أوليفر**" قد مرت بعدة تجارب من هذا النوع بدأت بمثل هذا الكلام. ومضت السيدة "**بورتون كوكس**" تقول:

– إنه موضوع حيوي بالنسبة إليّ، فهناك شيء أشعر بأن من واجبي أن أعرفه، فإن "**سيليا**" ستتزوج– أو يعتقد أنها ستتزوج – ابني "**ديسموند**" .

– صحيح؟

– هذه هي على الأقل فكرتهما الآن وبالتأكيد يجب على المرء أن يعرف حقائق عن الناس، وهناك شيء أريد أن أعرفه وهو أمر غريب أن أسأل عنه، لكن ليس بوسعي أن.. حسنا، أعني أنه لم يكن بوسعي أن أسأله لغريب ولكني لا أشعر بأنك شخص غريب يا عزيزتي السيدة "**أوليفر**" . وبدت السيدة "**أوليفر**" تشعُر بعدم ارتياح، وتساءلت في نفسها: "لو كان لـ "**سيليا**" طفل غير شرعي أو سيكون لها طفل غير شرعي وإن كان من المفروض عليها – اي السيدة "**أوليفر**" – أن تعلم دقائق هذا الأمر ومحتم عليها أو ترويها. ومالت السيدة "**بورتون كوكس**" إلى الأمام وهي تتنفس بصوت عال، وقالت:

– أريد أن تخبريني؛ لأني متأكدة من أنك تعرفين أو ربما لديك فكرة جيدة عن الأمر وكيف حدث. هل قتلت أمها أباها أو هل قتل أبوها أمها؟ ولم تكن السيدة "**أوليفر**" تنتظر هذا السؤال وحدقت إلى السيدة "**بورتون كوكس**" غير مصدقة، وقالت:

– ولكني لا.. أنا.. أنا لا أستطيع أن افهم، أعني.. ما السبب؟

– عزيزتي السيدة "**أوليفر**" انت لابد من أنك تعرفين، أعني أنها جريمة مشهورة، وأنا أعرف بالتأكيد أنها حدثت منذ زمن طويل، وأظن أنه مرت عليها عشرة أعوام أو اثنا عشر عاما على الأقل، لكن كانت لها رنة، وأثارت الانتباه في ذلك الوقت، وأنا متأكدة من أنك تذكرينها، بل لابد من أنك تلمّين بها.

وشغلت السيدة "**أوليفر**" عقلها بحمية. إن "**سيليا**" ابنتها في العماد ووالدتها كانت "**موللي بريستون جري**"، وكانت صديقتها وزميلتها في المدرسة، وقد تزوجت بضابط بالجيش يدعى السير "**رفنسكروفت**" وأمضيا جزءا من حياتهما

في بلاد الشرق: "**الملايو**"، "**الهند**"، "**مصر**"، إنها لا تتذكر بالضبط.. وكانت تتقابل معهما أحيانا عندما يكونان في زيارة لـ "**إنجلترا**"، لكن لا تزال السيدة "**بورتون كوكس**" تنظر إليها كما لو كانت تلومها على عدم مقدرتها على تذكر حادثة مشهورة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– هل قتلا؟ أتعنين.. حادثة؟

– كلا، ليست حادثة.. إن الأمر وقع في "**كورنويل**" حيث كانا يملكان منزلا بالقرب من البحر، وقد وُجدا على الربوة مقتولين بالرصاص ولم تجد الشرطة شيئا يدل على ما إذا كانت الزوجة هي التي قتلت الزوج ثم انتحرت أم العكس. ولم تتمكن الشرطة من الجزم بشيء، واعتقدوا أنه ربما كان بينهما اتفاق متبادل على الانتحار، وكانت نتيجة التحقيق مبهمة، ولكن الجميع كانوا يعرفون أنها جريمة قتل، وكانت هناك روايات كثيرة تداولها الناس حول هذا الموضوع في ذلك الوقت.

– كانت على الأرجح روايات مختلفة.

– ربما، فمن الصعب الحكم على ذلك. كانت هناك روايات عن مشاجرة حدثت في ذلك اليوم أو قبل ذلك، وكانت هناك إشاعة عن رجل آخر وبالتأكيد كان هناك حديث عن امرأة أخرى، ولا يمكن أن يعرف المرء أي الآراء أصوب، وأعتقد أن الشرطة تكتمت الأمر؛ نظرا إلى مكانة الجنرال "**رفنسكروفت**" العالية، وأظن أنه قيل إنه أمضى بعض الوقت في مستشفى خاص في ذلك العام، وإن صحته كانت متدهورة، وإنه لم يكن يدري ما يفعله أو أي شيء من هذا القبيل. وقالت السيدة "**أوليفر**" بحزم:

– لا أعرف شيئا عن الموضوع.. وقد تذكرتُ الآن عندما ذكرتِ أنه كانت هناك حادثة وأني كنت أعرف الأشخاص المذكورين، ولكني لم أعرف قط ماذا حدث بالمرة ولا أعتقد أن لديّ أدنى فكرة عن الحادث. وكانت تود لو أن لديها الشجاعة أن تضيف: "ولا أعرف كيف دفعتك الوقاحة لتسأليني مثل هذا السؤال". وقالت السيدة "**بورتون كوكس**":

– من المهم جدا أن أعرف الحقيقة؛ لأن ابني العزيز يريد أن يتزوج الفتاة.

– لا أستطيع أن أساعدك فأنا لا أعرف شيئا أبداً.

– إنك تكتبين كل هذه الروايات الرائعة عن الجريمة وعن مرتكبي الجرائم ولماذا يرتكبون الجرائم، وأنا متأكدة من أن الكثيرين مستعدون لإخبارك بالحقائق الخفية في مثل هذه الجرائم. وقالت السيدة "**أوليفر**" بنبرة جفاء:

– أنا لا أعرف أي شيء.

– لكن ألا ترين أني لا أعرف إلى مَن ألجأ؟ أعني أنه ليس بوسعي بعد كل هذه الأعوام أن أذهب إلى الشرطة، ولا أظن أنهم سيخبرونني على أي حال؛ لأنهم كانوا يريدون إخفاء الأمر. بيد أن لديّ إحساسًا بأن معرفة الحقيقة من الأهمية بمكان. وقالت السيدة "**أوليفر**" ببرود:

– إني أكتب فقط كتبا خيالية تماما وليس لي معرفة شخصية بالجريمة، كما أنني ليست لديّ آراء في علوم الجريمة؛ ولذلك أقول إنني ليس بوسعي مساعدتك.

– لكن بوسعك أن تسألي "**سيليا**".

– أسأل "**سيليا**"! بالله كيف أستطيع ذلك؟ إنها كانت.. أظن أنها كانت طفلة عندما وقعت هذه المأساة.

– ولكنني أظن أنها تعرف كل شيء عنها؛ فإن الأطفال يعرفون دائما كل شيء وإني على يقين بأنها ستخبرك أنت. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أظن من الأفضل أن تسأليها بنفسك.

– لا أعتقد أن بوسعي أن أفعل ذلك، فأنا لا أعتقد أن "**ديسموند**" سيسره ذلك، فإنه حساس لكل ما يخص "**سيليا**"، ولا أظن، في الحقيقة، أنها.. كلا كلا أنا متأكدة من أنها ستخبرك أنت.

– لا يمكن أن أحلم حتى بسؤالها. وتظاهرت بالنظر إلى ساعتها، وقالت:

– ما هذا! لقد مر الوقت سريعا في هذا الغداء الرائع.. يجب أن أهرع الآن فإن لديّ موعدا مهمًّا جدا.. إلى اللقاء يا سيدة "**بورتون كوكس**".. يؤسفني أنني لا أستطيع معاونتك ولكن هذه أمور حساسة.. هل هناك في الاحتمالين أي فارق من وجهة نظرك؟

– إني أعتقد أن الأمر سيختلف تماما في إحدى الحالتين. وفي تلك اللحظة مرت شخصية أدبية تعرفها السيدة "**أوليفر**" جيدا فانتهزت هذه الأخيرة الفرصة وقفزت

من مكانها ولحقت بها وتعلقت بذراعها قائلة:

– عزيزتي "**لويز**"، كم يسعدني رؤيتك! إنني لم ألاحظ أنك موجودة هنا.

وأجابتها "**لويز** مرحبة، ثم قالت:

– أظن أن هذه المرأة الفظيعة حاصرتك.

– إنها كانت توجه إليّ أسئلة غريبة ليست من شأني إطلاقا ولا أعرف لها جوابًا ولم تكن لديّ أدنى نية للرد عليها.

– هل كانت تتعلق بأمر شائق؟ وعبرت فكرة برأس "**أوليفر**":

– أظن أنه من الممكن أن يكون كذلك، لكن..

– إنها نهضت لمطاردتك.. تعالي سأساعدك على الهروب وسأوصلك بسيارتي لأي مكان إن لم تكن سيارتك معك هنا.

– أنا لا أخرج أبدا بسيارتي في "**لندن**"، فمن الصعب العثور على مكان لوقوف السيارات.

– أعرف ذلك، إنه أمر فظيع. وخرجت مع صديقتها.

الفصل الثاني

اضطرت السيدة "**أوليفر**" إلى أن تلجأ إلى السؤال عن "**بوارو**" بالتليفون عندما فشلت في العثور عليه في منزله. قالت السيدة "**أوليفر**":

– هل ستكون في البيت هذا المساء؟

– من المتحدثة؟

– أنا "**أريدان أوليفر**". وكانت السيدة "**أوليفر**" دائما تدهش عندما تجد نفسها مضطرة إلى إعلان اسمها لأصدقائها، فقد كانت دائما تتوقع أن يعرفوها من صوتها.

– نعم، سأكون في البيت طوال بعد الظهر. هل معنى ذلك أنني سأسعد بزيارة منك؟

– من الجميل منك أن تتحدث بهذه الطريقة، فإني لا أعتقد أنها ستكون زيارة

تبعث على السرور بهذا الشكل.

– يسعدني أن أراك دائمًا يا سيدتي العزيزة.

– قد أضايقك وألقي أسئلة فأنا أريد رأيك في أمر ما.

– أنا دائما على أتم استعداد لتقديم هذه الخدمة إلى أي إنسان. قالت السيدة "**أوليفر**":

– استجد أمر متعب ولا أعرف كيف أتصرف فيه.

– وستأتين لرؤيتي من أجل ذلك.. إني أشعر بفخر كبير.

– ما الوقت المناسب لك؟

– التاسعة.. سنتناول معا القهوة أو ربما تفضلين شراب جريندين، لكن كلا، إني أتذكر أنك لا تحبين ذلك. وطلب "**بوارو**" من خادمه الماهر "**جورج**" أن يعد شرابا غير كحولي مما تحبه السيدة "**أوليفر**".

*****

جاءت السيدة "**أوليفر**" في موعدها، وعندما دخلت الغرفة استنتج "**بوارو**" في الحال أن تشخيصه بأنها في غاية القلق، صحيح. فإن شعرها الذي طالما رآه منسقا كان على غير طبيعته من جراء عبثها به بعصبية، وهذه عادتها عندما يشغل بالها شاغل. واستقبلها بترحيب وأجلسها في مقعد مريح، وصب لها فنجانا من القهوة، ثم قدم إليها كوبا من شراب الكيرش. وتنهدت السيدة "**أوليفر**" بارتياح، قالت:

– آه أظن أنك ستعتقد أني امرأة ساذجة، لكن...

– لقد قرأت في الصحف أنك حضرت حفل غداء ثقافيًّا اليوم أقيم تكريما للكاتبات المشهورات، وكنت أظن أنك لا تحضرين مثل هذه الحفلات ألبتة.

– هذه ليست عادتي ولن أفعل ذلك مرة أخرى.

– آه، هل عانيت كثيرا؟ وكان يعرف منها أن الإطراء المبالغ فيه لكتبها يربكها؛ لأنها لا تعرف كيف تجيبه، وأضاف:

– ألم تستمتعي بالحفل؟

– لقد استمتعت به حتى وقت معين ثم حدث شيء متعب جدًّا.

– فهمت، وهذا هو سبب مجيئك إليّ.

– نعم، ولكني في حيرة، فالأمر غريب عنك ولا اظن انه من الأمور التي قد تشدك، وأنا نفسي لست مهتمة حقا ولو أني اعتقد ان هذا غير حقيقي ما جئت إليك لأعرف رأيك.. ماذا كنت تفعل لو كنت مكاني؟ قال "**بوارو**" :

– هذا السؤال الأخير صعب جداً، فأنا أعرف كيف أتصرف في أي موضوع، لكن لا أعرف كيف ستتصرفين انت مع أني أعرفك جيدا. واستدرجها في الحديث حتى روت له كل ما حدث بينها وبين السيدة "**بورتون كوكس**" وكيف أنها سألتها إن كانت تعرف ما إذا كانت تعتقد أن أم "**سيليا**" هي التي قتلت أباها أو العكس. قال "**بوارو**" :

– ماذا؟!

– إني أعرف أنه يبدو سؤالا جنونيا وهذا كان رأيي فيه.

– هل سألتك إن كانت والدة ابنتك في العماد هي التي قتلت زوجها أو أن أباها هو الذي قتل أمها؟

– مضبوط.

– لكن.. ما رأيك؟ هل قتل أبوها أمها أم قتلت أمها أباها؟

– لقد عثر عليهما مضروبين بالرصاص فوق ربوة، ولا أتذكر إن كانت في "**كورسيكا**" او "**كورنويل**". شيء من هذا القبيل.

– إذن فالذي قالته السيدة حقيقي؟

– نعم، إنه لحقيقي وقد حدث منذ عدة أعوام، ولكني أتساءل لماذا قصدتني أنا؟ قال "**بوارو**" :

– لأنك كاتبة روايات بوليسية، ولابد من أنها اعتقدت أنك تعرفين كل شيء عن الجريمة.. إن هذا الذي حدث حقيقة، أليس كذلك؟

– بلى، إنه ليس افتراضيا وإنما وقع بالفعل، وأظن أنه من الأفضل أن أروي لك ما حدث.. أنا لا أتذكر كل شيء ولكنه كان حادثا مشهورا في حينه.. لقد وقع منذ.. أعتقد أنه منذ حوالي اثنتي عشرة سنة على الأقل، وبوسعي أن أتذكر الأسماء؛ لأني كنت أعرفهما، فإن الزوجة كانت زميلة من زميلات المدرسة وكنا

صديقتين. كان حادثا مشهورا نشر في الجرائد وهما السير "**أليستر رفنسكروفت**" وزوجته، وكانا زوجين سعيدين، فالسير كان عقيداً أو "جنرالا" ، وقد ذهبتْ معه إلى جميع أنحاء الأرض، ثم اشتريا هذا المنزل في مكان ما، وفجأة ظهرت تفاصيل هذا الحادث في الجرائد؛ إنهما إما قتلا من شخص آخر أو قتل أحدهما الآخر، وأعتقد أن أداة الجريمة كانت مسدسا كان بالمنزل منذ عدة سنوات.. حسنا، يحسن أن أروي كل ما أستطيع أن أتذكره. وروت له كل ما قيل لها. قال "**بوارو**" :

– لكن لماذا تريد هذه المرأة أن تعرف من القاتل؟

– هذا ما أريد أن أعرفه، وبوسعي أن أتصل بـ "**سيليا**" .. أعني أنها مازالت تقيم في "**لندن**" أو ربما "**كمبريدج**" أو "**أكسفورد**" ، وأظن أنها حاصلة على شهادة جامعية وأنها تلقي محاضرات هنا أو تدرس في مكان ما، وهي عصرية جدا وتخالط ذوي الشعور الطويلة الذين يرتدون الملابس الغريبة، ولا أعتقد أنها تتعاطى مخدرات.. إنها فتاة طيبة وتتصل بي في فترات متباعدة.. أعني أنها ترسل إليّ بطاقات تهنئة في (الكريسماس) وأشياء من هذا القبيل.. إن المرء لا يفكر في ابنته في العماد طوال الوقت.. إنها في الخامسة أو السادسة والعشرين.

– ألم تتزوج؟

– كلا، لكن يبدو أنها ستتزوج –أو لديها هذه الفكرة – بابن تلك المرأة.. ما اسمها؟ السيدة "**بريتل**" .. كلا السيدة "**بورتون كوكس**" .

– والسيدة "**بورتون كوكس**" لا تريد أن يتزوج ابنها بهذه الفتاة لأن أحد والديها قتل الآخر؟

– أظن ذلك، فهذا هو السبب الوحيد المعقول الذي يمكن أن أفكر فيه، لكن ما أهمية معرفة أيهما القاتل؟ هل قتل أحد أبويك الآخر يكون من الأهمية لوالدة الفتى الذي سيتزوجك أن تعرف أيهما الفاعل؟

– هذا أمر يجب أن يفكر المرء فيه.. إنه.. إنه أمر شائق فعلا ولا أعني أن معرفة سر هذه الجريمة شائق، لكن يبدو أني أتذكر قليلا جريمة مثل هذه وربما هي نفس الجريمة، لكن أمر السيدة "**بورتون كوكس**" غريب.. ربما تكون بها لوثة.. هل تحب ابنها كثيرا؟

– من المحتمل ومن المحتمل أيضا أنها لا تريده أن يتزوج بهذه الفتاة بالمرة.

– ألأنها قد تكون قد ورثت استعدادا لقتل الرجل الذي تتزوجه، أو شيئا من هذا القبيل؟

– كيف أعرف؟ يبدو أنها تعتقد أن بوسعي أن أخبرها وهي لم تخبرني في الواقع بمعلومات كافية أليس كذلك؟ لكن ما السبب في رأيك؟ ماذا وراء كل هذا؟ ما معنى هذا؟ قال "**بوارو**":

– إن اكتشاف سر هذا يكاد يثير الاهتمام. قالت السيدة "**أوليفر**":

– هذا هو سبب مجيئي إليك، فإنك تحب أن تستكشف الأمور التي لا ترى أسبابها في البداية أعني التي لا يرى الناس سببا لها.

– هل تعتقدين أن السيدة "**بورتون كوكس**" تفضل شيئا؟

– تعني.. هل تفضل أن يكون القاتل الزوج أو الزوجة؟ لا أظن ذلك.

– إني أعرف ما يحيرك فإن الأمر يثير الفضول.. لقد رجعت إلى بيتك من حفلة طلب منك فيها عمل شيء صعب جدا ويكاد يكون مستحيلا وأنت تتساءلين عن الطريقة الصحيحة لمعالجة مثل هذا الأمر. قالت السيدة "**أوليفر**":

– حسنا ما الطريقة الصحيحة في رأيك؟

– ليس من السهل عليَّ أن أقول، فأنا لست امرأة.. إن امرأة لا تعرفينها تقابلت معها في حفلة وضعت هذه المشكلة أمامك وطلبت منك حلها دون أن تبدي سببا وجيها.

– هو ذلك والآن ماذا تفعل أو بتعبير آخر ماذا تفعل "أ" لو كنت تقرأ هذه المشكلة في جريدة؟

– أظن أنه توجد ثلاثة أمور يمكن أن أفعلها أو يفعلها "أ": أولها أن أرسل رسالة إلى السيدة "**بورتون كوكس**" أقول فيها: "أنا آسف جدا لأني في الحقيقة لا أستطيع معاونتك في هذا الموضوع." أو تستطيعين أن تتصلي بـ"**سيليا**" وتخبريها بما طلبته منك والدة الشاب الذي يريد أن يتزوجها وستعرفين منها لو كانت تفكر حقيقة في الزواج بهذا الشاب، ولو كان الأمر كذلك فهل لديها أية فكرة عمًّا لو كان الشاب قد قال لها أي شيء عما يدور في ذهن والدته.. وستكون هناك نقط

شائقة أيضا مثل معرفة رأي هذه الفتاة في والدة الشاب الذي يرغب في الاقتران بها، والشيء الثالث الذي بوسعك أن تفعليه والذي أنصحك به بشدة هو . . . قالت السيدة "**أوليفر**" :

– أعرف. . كلمة واحدة. قال "**بوارو**" :

– لا شيء.

– بالضبط، فأنا أعرف أنه الشيء السهل والأصولي "لا شيء"، فمن الوقاحة أن أذهب لأقول لـ"**سيليا**" ما تقوله حماتها المرتقبة لكن. . . قال "**بوارو**" :

– أعرف. . إنه فضول الإنسان.

– إني أريد أن أعرف لماذا جاءت هذه المرأة السخيفة الكريهة إليّ وقالت لي هذا الكلام، وبمجرد أن أعرف سبب ذلك سأستطيع أن أسترخي وأنسى الموضوع كله. لكن إلى أن أعرف هذا. . . قاطعها "**بوارو**" قائلا:

– نعم، لن تنامي وستستيقظين في الليل وستمر بخاطرك أعجب وأغرب الأفكار، وستتمكنين من خلق رواية بوليسية جذابة من هذه الأفكار، رواية مثيرة.

– نعم، باستطاعتي أن أفعل ذلك لو فكرت في الأمر بهذه الطريقة. ولمعت عيناها.

– دعكِ من هذا الموضوع فستكون قصة من الصعب حبكتها ولا يبدو أن هناك سببا وجيها لهذا.

– ولكني أود أن أتأكد من عدم وجود سبب وجيه. قال "**بوارو**" :

– فضول الإنسان. . كم هو أمر شائق! نحن مدينون له عبر التاريخ. . الإغريق في رأيي هم الذين اخترعوا الفضول، فقد كانت لديهم رغبة المعرفة، وعلى قدر علمي لم يسبقهم في ذلك أحد. . كان الآخرون يريدون فقط معرفة قوانين البلاد التي يعيشون فيها، وكيف يمكنهم تجنب قطع رؤوسهم وتجنب أذى الغير لهم. . إن البواخر والقطارات والطائرات والقنابل الذرية إلخ إلخ اختُرعت؛ لأن أشخاصا ما كان لديهم فضول. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– قل لي بصراحة هل تعتقد أني أزج بأنفي فيما لا يعنيني؟

– كلا، لا أعتقد ذلك ولا أعتقد أنك – عموما – امرأة فضولية، لكن بوسعي أن

أتصورك تنفعلين في حفل أدبي وتدافعين عن نفسك إزاء إطراء مبالغ فيه، كما بوسعي أن أتصورك وأنت تقعين في مأزق وتشعرين بكراهية شديدة للشخص الذي صادفك.

– نعم، إنها امرأة متعبة جداً وثقيلة جداً.

– هذه الجريمة وقعت في الماضي، وهذان الزوجان من المفروض أنهما كانا على وفاق، ولم تكن ثمة ظواهر مشاجرات بينهما، فهل قرأ أحد على ما تعلمين أي سبب لهذه الجريمة؟

– لقد ضُربا بالرصاص، وقد يكون اتفاقا متبادلا للانتحار، وأظن أن هذا كان رأي الشرطة في بادئ الأمر، وبالتأكيد لا يستطيع المرء أن يكشف حقيقة هذه الأمور بعد مرور كل هذه الأعوام. قال "بوارو" :

– أعتقد أن بوسعي أن أحصل على بيانات عنه.

– أتعني بواسطة أصدقائك المثيرين؟

– أنا لا أسميهم كذلك، ولكن لديَّ أصدقاء ذوي معرفة.. أصدقاء بوسعهم أن يضعوا أيديهم على سجلات معينة ويفحصوا التقارير التي كتبت عن الجريمة في ذلك الحين؟ قال "بوارو" :

– نعم بوسعي أن أحصل على هذه السجلات. وقالت السيدة "أوليفر" آمرة:

– بوسعك أن تتوصل إلى معلومات ثم تخبرني بها. قال "بوارو" :

– نعم، أعتقد أن بوسعي أن أساعدك على معرفة كل وقائع القضية ولو أن الأمر سيستغرق بعض الوقت.

– بوسعي أن انتظر، وإلى أن تفعل ذلك سيكون عليّ أنا أن أفعل شيئا.. سيتحتم عليّ أن أرى الفتاة وأرى إن كانت تعرف شيئا عن هذا الموضوع، وأسألها إن كانت لديها رغبة في أن أعطي حماتها المقبلة مقلبا، أو لو كانت هناك أي طريقة أخرى أستطيع أن أساعدها بها، كم أود أن أرى الفتى الذي ستتزوجه! قال "بوارو" :

– عظيم.. عظيم!

– وأظن أنه قد يكون هناك أناس... وتوقفت عن الحديث.

– لا أظن أن الناس سيكونون ذوي فائدة، فهذا شيء حدث في الماضي، وربما كانت جريمة مشهورة في ذلك الوقت، لكن ما الجريمة المشهورة في الحقيقة؟ إن أحدا لا يتذكرها ما لم تنته بنهاية مذهلة، وهذا غير متوافر في هذه الحالة.

– نعم، هذا صحيح لقد نشرت الصحف عنها الكثير في ذلك الوقت، ثم تلاشى الخبر مثلما يحدث الآن، فمثلا هذه الفتاة التي تركت منزلها ولم يستطيعوا العثور عليها منذ خمسة أو ستة أعوام، فجأة يعثر ولد صغير على جثتها وهو يلعب في الرمال بعد مرور خمسة أو ستة أعوام. قال "**بوارو**" :

– هذا حقيقي، كما أنه من الحقيقي أيضا أنه يمكن معرفة تاريخ الوفاة من الجثة كما يمكن كشف ما حدث في ذلك اليوم المعين بمراجعة حوادث ذلك اليوم المسجلة في السجلات، وقد نتمكن من العثور على الجاني، لكن سيكون الأمر أصعب في مشكلتك هذه؛ لأنه يبدو أن الإجابة لابد من أن تكون أحد هذه الأمور: إما أن الزوج كان يكره زوجته ويريد التخلص منها، أو أن زوجته كانت تكرهه، أو كان لديها عشيق؛ ولذلك فربما كانت جريمة بدافع غرامي أو جريمة مختلفة تماما.. على أي حال، لو كانت الشرطة قد عجزت عن معرفة الدافع في ذلك الحين فلابد من أن الدافع يصعب معرفته؛ ولذا فإنه غير معروف حتى الآن. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– أظن أن من الممكن أن أذهب إلى ابنتهما، وهذا ما كانت هذه المرأة الكريهة تريده، كانت تعتقد أن الابنة لابد من أن تعلم شيئا، أتعرف أن الأطفال يعلمون أغرب الأشياء؟

– هل لديك فكرة عن سن "**سيليا**" وقت الجريمة؟

– بوسعي أن أحسبه تقريبا.. أعتقد أنها كانت في التاسعة أو العاشرة أو ربما أكبر قليلا، وأظن أنها كانت في مدرسة بعيدة آنذاك، لكن ربما كان هذا من وحي خيالي، وربما كان شيئا أذكره مما كُتب فيما مضى.

– ولكنكِ تعتقدين أن رغبة السيدة "**بورتون كوكس**" كانت أن تحصلي على معلومات من الابنة، أليس كذلك؟ وربما تعرف الابنة شيئا، وربما أخبرت به الابن وذكر الابن شيئا لأمه، ومن الجائز أن السيدة "**بورتون كوكس**" حاولت استجواب الفتاة بنفسها وصدّتها الفتاة، ولكنها اعتقدت أن السيدة "**أوليفر**" الشهيرة

بصفتها خبيرة في علوم الإجرام وبصفتها الإشبينة قد تستطيع أن تحصل على معلومات، ولو أني لا أستطيع أن أفهم أهمية هذا بالنسبة إليها ولا يبدو لي أن بوسع الناس أن يمدونا بالمساعدة بعد طول هذه المدة، فهل سيتذكر أحد شيئا؟ قالت السيدة "**أوليفر**" :

– قد يتذكرون في مثل هذه الحالة.

– إنك تدهشني! هل يتذكر الناس؟!

– إني كنت في الحقيقة أفكر في الأفيال.

– الأفيال؟!

– لقد فكرت في أن الذي يجب أن نفعله هو العثور على الناس الذين يشبهون الأفيال؛ لأنه يقال إن الأفيال لها ذاكرة قوية. تابع "**بوارو**" قائلا:

– نعم، لقد سمعت هذه الجملة. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– إن الأفيال لا تنسى.. قرأت في إحدى قصص الأطفال.. يُحكى أن ترزيًا هنديًا غرز إبرة في جسم فيل، وفي المرة التالية التي مَرَّ فيها الفيل كانت في فمه كمية ضخمة من الماء أغرق بها الترزي؛ مع أنه لم يكن قد رآه منذ عدة أعوام، ولكنه لم ينس، وهذه هي النقطة المهمة.. لقد تذكرت أن الأفيال تتذكر، وما يجب عليّ عمله هو أن أتصل ببعض الأفيال. ومضت تشرح له أن هناك طرازا من الناس يشبه الأفيال في امتلاكه ذاكرة قوية ويتذكر الأحداث المهمة، وأنها هي شخصيا تتذكر بعض الأحداث التي حدثت لها في طفولتها وكان لها معنى في حياتها. وهكذا ستحاول أن تجد أسماء أصدقاء ومعارف لـ "**الجنرال**" وزوجته ممن تعرفهم وتسألهم. وقال "**بوارو**" :

– هذا أمر شائق وأعتقد أنكِ ستستطيعين إنجاز ما تنوين.. أناس يعرفون آل "**رفنسكروفت**" على درجات متفاوتة.. أناس عاشوا في المكان نفسه الذي وقعت فيه الجريمة أو أناس كانوا يقيمون هناك، إنه أمر صعب ولكني أعتقد أنه ممكن. وبطريقة أو بأخرى يمكن للمرء أن يجري الحديث ويتحدث عما حدث في ذلك الوقت وعن رأيهم فيه وعما سمعوه من آخرين.. وإذا كان أي من الزوجين له علاقة غرامية في ذلك الوقت.. وهل كان هناك أي ثروة ورثها أحد.. أعتقد أنه يمكنك

كشف عدة أشياء.

– أخشى أن أكون مجرد فضولية.

– لقد كلّفت بمهمة ليست من شخص غبي وتريدين مساعدته، وإنما من شخص تكرهينه تماما. وهذا لا يهم.. إنك مازلت في مهمة، مهمة البحث عن المعرفة وستختارين طريقك. إنه طريق الأفيال. رحلة سعيدة.

– ماذا؟

– إني أتمنى لك رحلة سعيدة في البحث عن الأفيال. وقالت السيدة "**أوليفر**" بحزن:

– أعتقد أنني مجنونة.. لقد كنت أفكر في كتابة قصة.. ولكني أتعثّر فيها.

– حسنا، دعك منها واشغلي نفسك بالأفيال فقط.

الفصل الثالث

– هل يمكنك أن تعثري لي على مذكرة العناوين يا آنسة "**ليفنجستون**"؟

– إنها على مكتبك يا سيدة "**أوليفر**" على الشمال. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أنا لا أعني هذه المذكرة التي أستعملها الآن، وإنما أعني المذكرة السابقة التي كنت أستعملها في العام الماضي أو ربما منذ عامين.

– ربما ألقيت بها.

– كلا، فأنا لا ألقي نوتة العناوين الخاصة بي ولا بأي شيء من هذا القبيل؛ لأن المرء كثيرا ما يحتاج إليها، وأعني أنه توجد دائما عناوين لا يكون المرء قد نقلها في النوتة الجديدة.. أظن أنها ربما تكون في أحد أدراج الدولاب.

*****

وكانت آنسة "**ليفنجستون**" سكرتيرة جاءت حديثا للعمل مع السيدة "**أوليفر**"، وكانت السيدة "**أوليفر**" تفتقد الآنسة "**سيد جويك**" السكرتيرة السابقة التي كانت ملمة بكل شيء، فهي تعرف الأماكن التي تضع فيها السيدة

"**أوليفر**" الأشياء المختلفة، وتتذكر أسماء الناس الذين كتبت لهم خطابات رقيقة، كما أنها تتذكر كذلك الناس الذين كتبت لهم السيدة "**أوليفر**" خطابات فظة... بعد أن فرغ صبرها. إن الآنسة "**سيد جويك**" كانت قيمة، بل كانت على حد قول السيدة "**أوليفر**": مثل كتاب عمتي "**أليس**"- الذي كان كل الفيكتوريين يملكون منه نسخة.. "اسأل فيه عن كل شيء" وكان اسماً على مسمى! فكان يوجد فيه: كيف تتخلص من بقع الحديد من اللينوه، وكيف تنقذ صلصلة المايونيز التي تحللت وكيف تكتب خطابا وديًا لأسقف إلخ. وكانت الآنسة "**سيد جويك**" مفيدة ويمكن الاعتماد عليها تماما مثل هذا الكتاب على عكس الآنسة "**ليفنجستون**". وقالت السيدة "**أوليفر**" بحزم وبتصميم طفل مدلل:

- إن الذي أريده هو مذكرتي لعام 1970 للعناوين، كما يستحسن أن تأتي لي أيضا بنوتة 1969 وأرجو أن تبحثي عنهما باسرع ما يمكن من فضلك.. هل يمكن؟

- بالتأكيد.. بالتأكيد. ونظرت حولها كمن يبحث عن شيء لم يسمع عنه من قبل. وقالت السيدة "**أوليفر**" لنفسها: "سأجن إن لم تعد لي "**سيد جويك**"". وبدأت السيدة "**ليفنجستون**" تبحث في الأدراج ثم قالت بارتياح:

- ها هي نوتة العام الماضي 1971، إنها ستكون أحدث، أليس كذلك؟

- أنا لا أريد نوتة 1971. ثم أضافت بعد تفكير:

- ابحثي في منضدة الشاي. وأشارت لها نحو المنضدة. وبدا القلق على وجه السيدة "**ليفنجستون**"، وقالت لمخدومتها كمن يعطي معلومات عامة:

- ليس من المحتمل أن توجد نوتة مكتب في منضدة الشاي.

- بل ممكن، ويبدو لي أني أتذكر ذلك. وأزاحت السيدة "**ليفنجستون**" من طريقها إلى منضدة الشاي ورفعت غطاءها ثم نظرت إلى الداخل ورفعت غطاء داخليا لمكان معد لحفظ الشاي الصيني وأخرجت منه نوتة بنية صغيرة، وقالت:

- ها هي.

- إنها نوتة عام 1968 منذ أربع سنوات.

- هذا هو المراد. وأخذتها وعادت إلى المكتب، وقالت.

– هذا كل ما أريده الآن يا آنسة "**ليفنجستون**"، لكن يمكنك أن تبحثي عن دفتر أعياد الميلاد وهو في مكان ما.

– لم أكن لأعرف. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أنا لا أستعمله الآن، لكن كنت أستعمله لعدة أعوام، وأظنه سيكون في السندرة في الطابق الأعلى. وهي الغرفة التي نستعملها كغرفة إضافية عندما يأتي الأولاد لقضاء عطلة المدارس. ستجدينه في كومودينو بجوار السرير.

– فهمت، هل أذهب وأبحث عنه؟

– هذا ما أقصده. وشعرت "**أوليفر**" بارتياح بعد خروج السيدة "**ليفنجستون**" وبدأت تقلب الصفحات.. "**رفنسكروفت**"، "**سيليا رفنسكروفت**".. نعم، 14 – "**فيشكر ميوز**". هذا عنوان "**سيليا**" حيث كانت تقيم في ذلك الوقت، لكن كان لها عنوان آخر بعد ذلك في مكان قريب من جسر "**كيوي**". وقلبت صفحات أخرى، ثم هتفت:

– نعم، يبدو أن هذا عنوان أحدث.. شارع "**مرديك جروف**" ناحية شارع "**فولهم**" على ما أظن، هل لديها تليفون؟ إن الخط ممسوح وغير واضح ولكني أظن.. نعم، أعتقد أني على حق.. "**فلاكسمان**".. سأجربها على أي حال. وعبرت الغرفة نحو التليفون. وفتح الباب وأطلت منه الآنسة "**ليفنجستون**"، وقالت:

– هل تظنين أنه ربما... وقاطعتها السيدة "**أوليفر**":

– لقد عثرت على العنوان الذي أريده.. واصلي البحث عن دفتر أعياد الميلاد فإنه مهم.

– ألا تعتقدين أنك ربما تكونين قد تركته في "**سيلي هاوس**" عندما كنت تقيمين هناك؟

– كلا، لا أعتقد ذلك.. واصلي البحث. وتمتمت عندما أغلق الباب: "ليتك تتأخرين أطول مدة ممكنة". وطلبت الرقم ولكن الساكنة الحالية لم تكن متعاونة ولم تخبرها بشيء عن "**سيليا**". ورجعت السيدة "**أوليفر**" مرة أخرى إلى النوتة وبعد عدة محاولات تليفونية حتى اعترفت إحدى السيدات بأنها تعرف "**سيليا**":

– نعم يا عزيزتي، ولكنها تركت المنزل منذ عدة أعوام وأظن أنها كانت في "**نيوكاسل**" في آخر مرة سمعت عنها. وعاودت السيدة "**أوليفر**" المحاولة في نمر أخرى عثرت عليها في النوتة وأخيرا حالفها الحظ.

– أتعنين "**سيليا**".. "**سيليا رفنسكروفت**"؟ إنها فتاة نشيطة جدا وعملت عندي أكثر من عام ونصف وكان يسعدني لو عملت معي فترة أطول، وأظن أنها ذهبت لتعمل في "**هرلي ستريت**"، وأعتقد أن لدي عنوانها.. دعيني أرى. وسادت فترة صمت طويلة كانت السيدة المجهولة تبحث فيها عن العنوان، ثم قالت:

– لديّ عنوان هنا في "**إيسلنجتون**" هل تظنين أنه محتمل؟ وأجابت السيدة "**أوليفر**" بأن أي شيء محتمل، ثم شكرتها ودونت العنوان. وأدارت الرقم الجديد ورد عليها صوت سيدة أجنبية:

– أنت تريدين.. نعم، ماذا تقولين؟ نعم، من يقيم هنا؟

– الآنسة "**سيليا رفنسكروفت**"؟

– نعم، هذا حقيقي.. نعم، إنها تقيم هنا في غرفة في الطابق الثاني وهي الآن خارج المنزل.

– هل ستكون موجودة هذا المساء؟

– آه، أظن أنها ستعود بعد قليل.. أظن أن عليها أن تعود إلى المنزل لترتدي ملابس الحفلة وتخرج. وشكرتها السيدة "**أوليفر**" ووضعت السماعة. ودخلت الآنسة "**ليفنجستون**" الغرفة وهي متربّة وعلى رأسها عدة عناكب وبدا عليها الاستياء وهي ممسكة بعدة كتب عليها غبار كثير، وقالت بغير رضا:

– لا أعرف إن كان أي منها سيفيدك يا سيدة "**أوليفر**"، فهي قديمة جدا منذ أعوام عديدة.

– لابد من أن تكون قديمة.

– هل هناك شيء معين تودين أن أبحث عنه؟

– لا أظن. ضعيها فقط في الركن الذي فوق الكنبة وبوسعي أن افحصها هذا المساء. وزاد استياء السيدة "**ليفنجستون**"، وقالت:

– حسنا يا سيدة "**أوليفر**"، أعتقد أني سأنفض عنها التراب أولا.

– هذا كرم منك. وأمسكت في الوقت المناسب عن إضافة: "وبالله انفضي عنك الغبار فإن هناك على الأقل ستة عناكب فوق أذنك اليسرى". وألقت نظرة إلى ساعتها ثم طلبت رقم "**إيسلنجتون**" مرة أخرى وكان الصوت الذي أجابها في هذه المرة صوتا "**أنجلو سكسونيًّا**" صرفا:

– لا أظن أنك ستذكرينني جيدا، أنا "**أريدان أوليفر**" ولم نتقابل منذ وقت طويل ولكني في الواقع إشبينتك.

– آه.. نعم، بالطبع أنا أعرف ذلك.. إننا فعلا لم نتقابل منذ زمن طويل.

– هل بوسعي أن أراك.. أو بوسعك أن تأتي لزيارتي؟ أو كيفما تشائين. هل تحبين أن تتناولي معي الغداء أو العشاء أو.. ؟

– إن هذا أمر صعب الآن بالنسبة إلى عملي الحالي، وبوسعي أن آتي هذا المساء لو أحببت حوالي السابعة والنصف أو الثامنة ولديّ موعد بعد ذلك.

– سأكون مسرورة جداً لو فعلت ذلك.

– حسنا، سآتي. وأعطتها السيدة "**أوليفر**" العنوان ثم انهت المحادثة ونظرت باستياء إلى الآنسة "**ليفنجستون**" التي دخلت الغرفة في تلك اللحظة وهي تتمايل تحت ثقل ألبوم كبير.

– هل هذا هو المطلوب يا سيدة "**أوليفر**"؟

– كلا، لا يمكن أن يكون كذلك فإنه كتاب يحوي وصفات طعام. وأرسلتها سيدة "**أوليفر**" لتبحث مرة أخرى ثم لحقت بها، وعثرت على الألبوم المنشود بعد قليل وأخذت تتفحصه بينما وقفت الآنسة "**ليفنجستون**" تنظر إليها وقد بدا عليها العذاب. ولم تتحمل السيدة "**أوليفر**" هذا المشهد، فأرسلتها للبحث عن نوت أخرى في مكتب قديم، وقالت لها:

– وإن لم تجدي فيه شيئا فبوسعك الانصراف فأنا لا أحتاج إلى شيء آخر، وبعد أن ذهبت الآنسة "**ليفنجستون**" حدثت السيدة "**أوليفر**" نفسها: "من منا – يا ترى – الأكثر سعادة؟ أهي لأنها ستنصرف أم أنا لأنها انصرفت؟ ستكون أمامي أمسية حافلة بعد مجيء "**سيليا**"". وأمسكت بأحد الدفاتر وأخذت تدون أسماء

وعناوين وتواريخ، ثم اتصلت بـ "**هركيول بوارو**" تليفونيا وسألته عما فعله، ولم يعجبها جوابه بأنه بدأ بعض التحريات، فإن السيدة "**أوليفر**" كانت تتعجل الحوادث وليس لديها صبر كثير. سألها "**بوارو**" :

– وماذا فعلت أنت يا سيدتي العزيزة؟

– كنت مشغولة بجمع الأفيال لو كان لهذا معنى لديك.

– أعتقد أني أفهم ما تعنينه. وأخبرته بأنها اتصلت بـ "**سيليا**" وأنها قادمة لزيارتها في حوالي الثامنة. فتساءل:

– وهل بدا عليها السرور لأنك اتصلت بها؟

– لا أعرف.. لم تبد مسرورة بصفة خاصة، وإني أتذكر الآن أنه في آخر مرة رأيتها فيها منذ حوالي ست سنوات فكرت في أنها مخيفة.

– مخيفة؟! ماذا تعنين؟

– أعني أنه من الأرجح أن تتحكم هي فيّ أكثر من أن أتحكم أنا فيها.

– ربما يكون هذا خيرا.

– أتظن ذلك؟

– لو صمم الناس على الا يحبوك فسيسرهم أن يجعلوك تدركين ذلك وبهذه الطريقة سيدلون لك بمعلومات أكثر مما كانوا سيفعلون لو كانوا يحاولون أن يكونوا ظرفاء.

– أتعني لو كانوا يتملقونني؟ نعم، إنك محق فإنهم في هذه الحالة سيقولون للمرء ما يسره بينما في الحالة الأخرى سيقولون له ما يضايقه. فهل تكون "**سيليا**" من هذا النوع! إني أتذكرها عندما كانت في الخامسة أكثر من أي وقت، وكان من عادتها أن تقذف مربيتها بحذائها. وأنهت المحادثة ثم رجعت إلى النوت القديمة وراحت تتمتم بأسماء أصدقاء قدماء: " "**ماريانا جوزفين بونترليه**" – نعم، بالطبع أنا لم أفكر فيها منذ أعوام – كنت أظن أنها ماتت، "**آنا برسيبي**" ، نعم، نعم، إنها كانت تقيم في هذه الناحية، إني لأتساءل! " . ومر الوقت سريعا دون أن تدري، وفوجئت بجرس الباب فذهبت وفتحت بنفسها.

الفصل الرابع

كانت هناك فتاة طويلة تقف على عتبة الباب، ونظرت إليها السيدة "**أوليفر**" بدهشة.. أهذه هي "**سيليا**"! كانت فتاة ينبعث منها انطباع يوحي بالحيوية الشديدة، وقالت السيدة "**أوليفر**" لنفسها: "هذه فتاة لها هدف في الحياة، ربما قوية وصعبة، بل ربما خطرة ولكنها فتاة ممن لهن رسالة وربما تؤمن بالعنف ولكنها بالتأكيد شائقة". وقالت:

– تفضلي بالدخول يا "**سيليا**"، لقد مر وقت طويل منذ أن رأيتك آخر مرة، وكان ذلك على ما أظن في حفل زفاف وكنت أنت وصيفة شرف، وكنت ترتدين ثوبا من الشيفون المشمشي. قالت "**سيليا**":

– كان زفاف "**مرتا ليجهورن**"، أليس كذلك؟ كانت أقبح ملابس وصيفات شرف رأيتها في حياتي وبالتأكيد كان أقبح فستان ارتديته في حياتي.

– نعم، لم تكن الفساتين جميلة على أية واحدة ولو أنك كنت تبدين فيها أفضل من الأخريات.

– جميل منك أن تقولي ذلك فلم يكن هذا شعوري. وأشارت السيدة "**أوليفر**" إلى مقعد وأمسكت بإناء.

– أتحبين عصير الكرز أو شيئا آخر؟

– أفضل كأسا من عصير الكرز.

– تفضلي.. أظن أن اتصالي التليفوني المفاجئ بدا لك أمرا غريبا.

– كلا، ليس بصفة خاصة.

– أخشى ألا أكون إشبينة جيدة.

– ولماذا تكونين هكذا وأنا في هذه السن؟

– إنك على حق فإن المرء يشعر بأن واجباته تنتهي عند سن معينة، ولو أني لم أقم بواجباتي كما يجب في أي وقت فأنا لا أتذكر أني حضرت حفل تثبيتك المسيحي. وقالت "**سيليا**" بتهكم خفيف:

– أعتقد أن من واجبات الإشبينة أن تعلم الدين وبعض الأمور الأخرى المشابهة،

أليس كذلك؟ مثل محاربة الشيطان وكل أعماله. كانت تحاول أن تكون لطيفة ولكن السيدة "**أوليفر**" كانت تشعر بأنها خطرة. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– حسنا سأخبرك لماذا حاولت مقابلتك، إن الأمر كله غريب وأنا قليلا ما أذهب إلى الحفلات الأدبية، لكن حدث أني ذهبت إلى إحداها منذ يومين.

– نعم، أعرف ذلك فقد قرأت شيئا عنها في جريدة ذكر فيها اسمك ودهشت قليلا؛ لأني أعرف أنك عادة لا تذهبين إلى مثل هذه الحفلات.

– هذا صحيح وأتمنى الآن لو أنني لم أذهب إلى هذه الحفلة.

– ألم تستمتعي بها؟

– نعم، استمتعت بها لأني لم أحضر حفلة من هذا النوع من قبل وهناك دائما شيء مسلٍ في أول مرة، لكن هناك أيضا عادة شيء يضايق المرء دائما.

– هل حدث شيء ضايقك؟

– نعم، وهو شيء له علاقة بك.. وفكرت في أنه يجب أن أخبرك به لأني لم أحب ما حدث.

– يبدو أنه أمر مثير. ورشفت "**سيليا**" عصير الكرز.

– كانت هناك امرأة جاءت وتحدثت معي ولم تكن تعرفني وأنا لا أعرفها.

– أظن أن هذا كثيرا ما يحدث.

– نعم، فإنه أحد مخاطر الحياة الأدبية.. يأتي إليك أناس ويقولون لك إني أحب كتبك كثيرا وسعيدة جداً بالتعرف إليك وأقوال من هذه الأمور.

– نعم حدث شيء من هذا القبيل ثم جاءت هذه المرأة، وقالت لي: "أعتقد أن لك ابنة بالعماد تدعى "**سيليا رفنسكروفت**"" .

– إن هذا فعلا أمر غريب، فكان يجب عليها أن تبدأ بالحديث عن كتبك أولا وكيف أنها استمتعت بآخر كتاب، ثم تنزلق إلى الحديث عني.. ما شكواها مني؟

– ليست لها شكوى منك على قدر علمي.

– هل هي إحدى صديقاتي؟

– لا أعرف. ومرت فترة صمت احتست فيها "**سيليا**" المزيد من عصير الكرز، ثم قالت وهي تنظر إلى السيدة "**أوليفر**" نظرة فاحصة:

– أتعرفين أنك تثيرين فضولي؟ فأنا لا أعرف تماما ما الذي تمهدين له.
– أرجو ألا تغضبي مني.
– ولماذا أغضب منك؟
– لأني سأقول شيئا أو أعيد عليك شيئا قد تقولين إنه ليس من شأني أو إنه كان يجب ألا أتكلم في الموضوع ولا أذكره.
– إنك أيقظت فضولي أكثر.
– لقد ذكرتْ لي أن اسمها السيدة "**بورتون كوكس**". قالت "**سيليا**":
– آه. قالت السيدة "**أوليفر**":
– أتعرفينها؟
– نعم أعرفها.
– هذا ما ظننته؛ لما قالته.
– وماذا قالت؟
– قالت إنها تظن أن ابنها قد يتزوجك. وتغيرت ملامح "**سيليا**" وارتفع حاجبها ونظرت بحدة إلى السيدة "**أوليفر**"، وقالت:
– أتريدين أن تعرفي إن كان هذا حقيقيا أم لا؟
– كلا، لا أريد أن أعرف هذا على وجه الخصوص، وإنما ذكرت هذا لأنه كان من أول الأمور التي قالتها لي.. لقد قالت إنه بما أنك ابنتي في العماد فقد يكون بوسعي أن أسألك عن بعض المعلومات، وأظن أنها كانت ترغب أن أدلي لها بما أتوصل إليه من معلومات.
– أي معلومات؟
– لا أظن أنك ستسرين مما سأقوله الآن فأنا نفسي لم أسر به وشعرت بتقزز؛ لأني أعتقد أنه وقاحة وقلة ذوق وشيء لا يمكن أن يسامح فيه المرء، فلقد قالت "هل بوسعك أن تعرفي إن كان أبوها هو الذي قتل أمها أو أن أمها هي التي قتلت أباها؟".
– أقالت هذا لك؟ أطلبت منك هذا؟
– نعم.

– ولم تكن لتعرفك؟ أعني بصرف النظر عن كونك كاتبة ومدعوة إلى الحفل؟
– لم تكن لتعرفني بالمرة ولم نكن قد تقابلنا قبل ذلك.
– أفلا ترين أنه أمر عجيب؟
– لا أظن أني أجد أي غرابة فيما تقوله هذه المرأة، فانطباعي عنها هو أنها امرأة كريهة جدا.
– نعم، إنها امرأة كريهة بصفة خاصة.
– وهل ستتزوجين ابنها؟
– لقد فكرنا في الأمر وأنا لا أعرف حتى الآن.. هل كنت تعرفين شيئا عن هذا الموضوع الذي حدثتك عنه؟
– إني أعرف مثلما أظن أن أي إنسان كان على صلة بعائلتك يعرفه.
– إن أبويّ اشتريا منزلا في الريف بعد أن ترك أبي خدمة الجيش، وفي يوم من الأيام خرجا معا للنزهة فوق ربوة ووُجدا مضروبين بالرصاص كما وجد بجوارهما مسدس كان ملكا لأبي، ويبدو أنه كان لديه مسدس في المنزل، ولم يكن هناك ما يدل على أن الحادث كان انتحارا متفقا عليه، وأن والدي قتل أمي ثم قتل نفسه، أو إن كانت والدتي قتلت أبي ثم انتحرت.. لكن ربما تعرفين كل هذا.
– أعرفه بطريقة عامة فقد مضى اثنا عشر عاما على هذا الحادث على ما أعتقد.
– نعم، حوالي هذا.
– وكنت في الثامنة أو الرابعة عشرة في ذلك الوقت.
– نعم.
– أنا لا أعرف الكثير عن هذا الأمر، فلم أكن في "إنجلترا" في ذلك الوقت، فقد كنت في رحلة ألقي فيها محاضرات في "أمريكا"، وقرأت فقط عن الحادث في الجرائد، وقد نشر عنه الكثير؛ لأنه كان من الصعب معرفة الحقائق، ولم يبد أن هناك أي دافع، فإن والديك كانا سعيدين وكانا على أتم وفاق؛ وإني أتذكر أن هذا ذكر في الصحف، وكنت مهتمة بالأمر لأني كنت أعرفهما في شبابي وخصوصا والدتك، فقد كنا معا في المدرسة وبعد ذلك افترقنا، فتزوجت أنا وابتعدت. وتزوجت هي وذهبت مع زوجها الضابط إلى "الملايو" أو بلد من هذا القبيل.

وطلبت مني أن أكون إشبينتك وبما أن والديك كانا يعيشان في الخارج فلم أكن لأراهما كثيرا وكنت أراك أنت بين حين وآخر.

– نعم، إنك كنت تأخذينني من المدرسة للنزهة.. إني أتذكر ذلك وكنت تدعينني إلى طعام لذيذ.

– إنك كنت طفلة غير عادية وكنت تحبين الكافيار.

– ومازلت أحبه ولو أنه لا يقدم إليَّ كثيرا الآن.

– لقد صدمت عندما قرأت عن الحادث في الصحف، ولكني بعد ذلك نسيت الأمر فقد كنت في "**أمريكا**" في ذلك الوقت وبعد ذلك بعدة سنوات رأيتك، وبالطبع لم أتحدث معك في هذا الموضوع. قالت "**سيليا**":

– لقد قدّرت منك ذلك.. إنك كنت دائما لطيفة جداً معي، فكنت ترسلين إليّ هدايا ظريفة وإني لأتذكر على وجه الخصوص هديتك عندما بلغت الواحدة والعشرين.

– هذا هو الوقت الذي تحتاج فيه الفتيات إلى بعض المال الزائد في أيديهن؛ إذ توجد أشياء كثيرة يرغبن فيها في ذلك الوقت.

– نعم، لقد كنت دائما أعتقد أنك سيدة متفاهمة ولست مثل الآخرين الذين يلقون دائما أسئلة ويريدون معرفة كل شيء عنك، وأما أنت فلم تلقي قط أسئلة، وكان من عادتك أن تأخذيني إلى المسارح أو تصحبيني إلى وجبات شهية، وتتكلمين معي كما لو أن كل شيء على ما يرام وأنك مجرد فرد بعيد عن العائلة. لقد قدّرت ذلك خصوصا أني قابلت كثيرا من الفضوليين في حياتي. قالت السيدة "**أوليفر**":

– نعم، إن كل إنسان يصادفهم آجلا أو عاجلا، لكن يمكنك أن تري الآن ماذا أقلقني في هذه الحفلة، فإنه من العجيب حقا أن يطلب مني شخص غريب عني تماما مثل السيدة "**بورتون كوكس**" أن أفعل شيئا كهذا وليس بوسعي أن أتخيل لماذا تريد أن تعرف، فهذا ليس من شأنها بالتأكيد، إلا..

– ربما كان لذلك علاقة بزواجي بـ "**ديسموند**" ابنها.

– نعم، أظن أن هذا محتمل، لكن لم يكن بوسعي أن أرى أنه من شأنها.

– إنها تعتبر كل شيء من شأنها، فهي متطفلة، بل إنها في الواقع كما قلت عنها.. إنها امرأة كريهة.

– ولكن "**ديسموند**" – على ما أفهم – ليس كريها.

– كلا، كلا إني مغرمة به وهو مغرم بي ولكني لا أحب أمه.

– وهل يحبها هو؟

– أنا لا أعرف حقيقة وأظن أنه ربما يحبها.. هذا هو المفروض، أليس كذلك؟ على أي حال، أنا لا أريد أن أتزوج الآن، فهناك كثير من الصعاب ولابد من أنك شعرت بالفضول، أعني عن معرفة السبب في أن تطلب منك هذه المرأة المتطفلة أن تعرفي مني هذه المعلومات ثم تهرعي إليها وتخبريها بها، وعلى فكرة هل من أجل ذلك وجهت إليّ الدعوة؟

– أتعنين.. من أجل أن أسألك عن أي من والديك قتل الآخر أو هل انتحرا؟

– نعم، ولكني أود لو عرفت إذا كنت تريدين أن تسأليني هذا السؤال من أجل إمداد السيدة "**بورتون كوكس**" بالمعلومات التي ستحصلين عليها لو حصلت مني على أي معلومات أم لا.

– كلا بالتأكيد، فلست أنوي أن أقول لهذه المرأة الكريهة أي شيء من هذا القبيل.. إني سأقول لها بكل حزم إن هذا ليس من شأنها أو شأني وأنا شخصيا ليست لديّ أية نية في الحصول على معلومات منك وإخبارها بها.

– حسنا، هذا ما كنت اعتقده.. أعتقد أن بوسعي أن أثق بك لهذا المدى وليس لديّ مانع في أن أخبرك بما أعرفه.

– لا حاجة إليك بهذا، فلست أطلب منك ذلك.

– أنا أفهم هذا ولكني سأجيبك على أي حال.. إن الجواب هو.. لا شيء.

– لا شيء؟!

– نعم، فلم أكن موجودة هناك في ذلك الوقت وأظن أني كنت في مدرسة في "**سويسرا**" أو أني كنت أقيم مع صديقة من المدرسة في أثناء الإجازة؛ فإن الأمر مختلط عليّ الآن. وسألتها السيدة "**أوليفر**" عن رأي الشرطة في هذا الوقت فقالت:

– على ما أظن أنهم اعتقدوا أنه انتحار مزدوج، ولكني لا أعتقد أنه كانت لديهم أدنى فكرة عن السبب الحقيقي. ثم سألتها :

– هل تودين معرفة رأيي يا سيدة **"أوليفر"** ؟

– لا أريد ما لم تريدي أنت أن أعرف.

– ولكني أظن أنك مهتمة بالموضوع، فأنت كاتبة قصص بوليسية تذكرين فيها أشخاصا ينتحرون أو يقتلون غيرهم أو لديهم أسباب لفعل هذا.

– نعم، إني أعترف بذلك، ولكن آخر ما أريده هو أن أجرح شعورك بالسعي في الحصول على معلومات ليست من شأني. قالت **"سيليا"** :

– حسنا، إنني كثيرا ما تساءلت من حين إلى آخر عن ماذا وكيف ولكني كنت أعرف القليل جدا عن الأمور التي كانت تجري في البيت، وكنت في الإجازة السابقة بعيدة في **"أوروبا"** ، وهكذا لم أكن قد رأيت والديَّ منذ وقت قريب، وأعني أنهما أتيا إلى **"سويسرا"** وأخذاني مرة أو مرتين في نزهة خارج المدرسة ولكن الأمر اقتصر على ذلك، وكانا يبدوان كالمعتاد وقد كبرا قليلا، وأعتقد أن أبي كان مريضا : أعني أنه كان أضعف، ولا أعرف إن كان مريضا بالقلب أو بشيء آخر، وأمي أيضا كانت عصبية وكانت مشغولة بصحتها، إلا أنهما كانا على أتم وفاق ولم ألاحظ أي شيء، ولكن المرء تعتريه في بعض الأوقات أفكار ليست صحيحة حتما، لكن... قالت السيدة **"أوليفر"** :

– لا أعتقد أنه يحسن أن نتحدث عن ذلك أكثر من هذا، ولا حاجة بنا إلى أن نعرف فإن الأمر انتهى، وكما قلنا فإنه لا توجد أدلة تشير إلى دافع. وقالت **"سيليا"** إنه لو كان أحدهما قتل الآخر فالأرجح هو أن أباها هو الذي قتل أمها؛ لأن ذلك يكون مقبولا أكثر، فالرجل في الغالب هو الذي يطلق الرصاص، ولكنها لا تعرف سببا يدعو أيا منهما إلى فعل ذلك.

– ربما كان شخصا خارجيا. قالت **"سيليا"** :

– نعم، لكن ماذا تعنين بشخص خارجي؟

– من سواهما كان يقيم في المنزل؟

– كانت هناك مديرة بيت عجوز ضعيفة النظر ثقيلة السمع، وفتاة أجنبية كانت

في وقت ما مربيتي وهي لطيفة جدا. وعادت لتعود أمي التي كانت قد خرجت من المستشفى، وكانت هناك خالة لم أكن لأحبها كثيرا، ولا أعتقد أن من المحتمل أن يحمل أي منهم ضغينة ضد والدي، ولم يكن هناك أحد يستفيد من موتهما سواي وأخي "**إدوارد**" الذي يصغرني باربع سنوات، فقد ورثنا بعض المال، ولكنه ليس بالكثير، وكان لدى أبي معاشه بالطبع، كما كان لدى والدتي إيراد صغير خاص بها.. كلا لم يكن هناك مال ذو أهمية.

– إني آسفة.. آسفة جداً لو كنت قد ضايقتك بأسئلتي.

– إنك لم تضايقيني وإنما فقط أيقظت الماضي قليلا في ذهني لأنه يهمني؛ لأني في سن أتمنى أن أعرف فيها.. إني كنت أعرفهما وأحبهما مثلما يحب أي طفل والديه، ولكني أدرك أنني لم أكن لأعرفهما على حقيقتهما حتما. كيف كانت حياتهما؟ ما الذي كان يهمهما؟ أنا لا أعرف شيئا عن هذا بالمرة وأتمنى لو كنت أعرف. إنه وسواس يزن في أذنيّ ولا يتركني، نعم إني أحب أن أعرف لأني في هذه الحالة سأكف عن التفكير في الأمر.

– إذن فانت تفكرين فيه؟

– نعم، إني افكر فيه طوال الوقت.. إنه يقلقني كما أنه يقلق "**ديسموند**".

الفصل الخامس

ترك "**هركيول بوراو**" باب المطعم يقفل وحده من خلفه ودخل، ولم يكن هناك أناس كثيرون في ذلك الوقت وسرعان ما رأى المفتش "**سبنس**" الرجل الذي جاء لمقابلته في ركن من المطعم الصغير.

– حسنا.. لقد وصلت، ألم تجد صعوبة في العثور على المطعم؟ قال "**بوارو**":

– كلا.. إن وصفك كان سهلا.

– دعني أقدمك الآن.. المفتش العام "**جرووي**"، السيد "**هركيول بوارو**".

وكان "**جرووي**" رجلا طويلا نحيفا ذا شعر رمادي، وقال "**بوارو**":

– هذا رائع! قال "**جرووي**":

– لقد أحلت بالطبع الآن إلى المعاش ولكني أتذكر.. نعم هناك بعض الأمور يتذكرها المرء حتى بعد أن تنتهي ويمضي عليها زمن ويكون الجمهور قد نسيها على الأرجح. ومنع "**بوارو**" نفسه بصعوبة من أن يتمتم: "**الأفيال تتذكر**" وكانت هذه الجملة قد التصقت بذهنه بالسيدة "**أوليفر**" إلى درجة أنه كان يجد صعوبة في منعها؛ خشية أن ينطلق بها لسانه في أوقات غير مناسبة. قال "**سبنس**":

– أرجو ألا تكون قد بدأت تفقد صبرك. وجلس ثلاثتهم وطلبوا الغداء ثم احتسوا بعض عصير الكرز وهم ينتظرون، ومرت فترة صمت قطعها "**بوارو**" بالحديث:

– يجب أن أعتذر لكما؛ لأني أتيت إليكما بطلباتي عن حادث مضى وانقضى. قال "**سبنس**":

– إن ما يهمني هو أن أسأل ما الذي أثار انتباهك، لقد مر بذهني أنه ليس من طباعك أن ترغب في تقليب الماضي، فهل هو أمر له علاقة بشيء حدث في الحاضر أم هو فضول فجائي عن قضية مازالت لغزا؟ هل توافقني على ذلك؟ ونظر عبر المنضدة، وتابع:

– إن المفتش "**جرووي**" كان في ذلك الوقت الضابط المسؤول عن التحري عن حادث "**رفنسكروفت**". وهو صديق قديم لي؛ ولذلك لم تصادفني صعوبات في الاتصال به. قال "**بوارو**":

– لقد كان كريما حينما قَبِل أن يحضر هنا اليوم لمجرد أنه علم أن لديّ بعض الفضول حيال قضية انتهت منذ زمن. وقال المفتش العام "**جرووي**":

– عندما جاءني "**سبنس**" وسألني إن كنت أتذكر أي شيء عن قضية "**رفنسكروفت**" انتابني الفرح والحيرة في الوقت نفسه.

– ألم تنس كل شيء عن الموضوع؟

– كلا، ليس فيما يخص قضية "**رفنسكروفت**" فهي قضية ليس من السهل أن ينساها المرء. قال "**بوارو**":

– هل كانت هناك تناقضات أو حلول أخرى؟ ألم تكن هناك أدلة؟ قال "**جرووي**":

– كلا، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل.. إن كل الأدلة كانت تسجيلا للوقائع الظاهرة، كما أن هناك سوابق لوفيات من هذا القبيل، نعم، لم تكن هناك صعوبات ومع ذلك.. ولكن "جرووي" طيّب خاطره وأكد لهم أنهم جميعا من السهل أن يثار فضولهم حول قضية قديمة، وراح ثلاثتهم يتحدثون عن بعض هذه القضايا. قال "بوارو":

– ماذا؟! قال "جرووي":

– كان إحساسي بأن الواقع الذي رأيناه ليس هو الحقيقة، ولا أخفي عليك بأني أحيانا كنت أقول إننا أخطأنا. قال "بوارو":

– أكان هذا هو شعورك؟

– نعم، كنت أشعر بأن هناك شيئا وراء هذا الحادث.

– إني أفهم ما تعنيه وكذلك يفهمه "سبنس". إن المرء يصادفه أحيانا مثل هذه المواقف: الأدلة موجودة والوقائع معروفة والفرصة متاحة وكل شيء مهيأ، ولكن رجل الشرطة المحترف يشعر بغريزته أن هذا كله خطأ مثل الناقد في عالم السينما الذي يعرف أن الفِلم به عيب. قال "جرووي":

– لم يكن في وسعي أن افعل أي شيء حيال القضية، لقد قلّبتها من جميع الاحتمالات وكانت تبدو انتحارا متفقا عليه بينهما، وهناك طبعا احتمال أن أحدهما قتل الآخر عمدا ثم انتحر، لكن لم نجد أي دليل يؤيد هذه النظرية؛ لأنه لم يكن هناك أي سبب لذلك. قال "بوارو":

– أكانت المشكلة هي أنه لم يكن هناك أية فكرة عن الدافع للانتحار أو للقتل ثم الانتحار؟

– نعم، لقد قمت بتحريات واسعة ودقيقة لمعرفة حياتهما، وكانا زوجين يتقدم بهما العمر.. الزوج له سجل مشرف كضابط، والزوجة لطيفة حنون، وكانا على أتم وفاق ووئام، فكانا يتنزهان معا ويلعبان الورق معا في الأمسيات وكانت لهما بنت في مدرسة في "سويسرا"، وولد في مدرسة في "إنجلترا" لا يسببان لهما أي مشاكل وكانت صحتهما على ما يرام نسبيا.. فالزوج كان يعاني ضغطًا عاليًا ولكنه كان يتناول أدوية تعالجه، وكانت زوجته ثقيلة السمع قليلا وقلبها متعب

قليلا، لكن ليس إلى درجة تثير القلق، ومشكلتي هي أنني لم أكن لأعرف الكثير عنهما، وكان الأمر يبدو أنه لا يمكن إلا أن يكون انتحارا، لكن بعد مرور كل هذا الوقت كلما قرأت في الجرائد عن زوجين وُجِدَا ميتين منتحرين سألت نفسي: "ما الذي حدث حقًا في قضية "**رفنسكروفت**"؟ لماذا؟ هل كان الزوج يمقت زوجته خفية حقيقة؟ هل كانت الزوجة في الحقيقة تكره زوجها وتتمنى أن تتخلص منه؟ هل كان يكره كلٌّ منهما الآخر إلى درجة أصبح من المستحيل معها تحمل ذلك؟" ووجه كلامه إلى "**بوارو**" قائلا:

– هل لديك فكرة يا سيد "**بوارو**"؟ هل قصدك إنسان قال لك شيئا أثار انتباهك بصفة خاصة؟ هل تعرف شيئا يمكن أن يوضح السبب الخفي؟ قال "**بوارو**":

– كلا، لكن لابد من أنه كانت لديك نظرية، هيا اعترف، لقد كانت لديك نظرية؟

– نعم، كانت لديّ عدة نظريات والمرء يتوقع أن تكون إحداها صحيحة، لكن خاب أملي وأعتقد أن آخر نظرية لي كانت أنه لا يمكن للمرء أن يبحث عن السبب؛ لأن ما أعرفه كان قليلا جدًّا، ما الذي كنت أعرفه عنهما؟ إن "**الجنرال**" كان يقترب من الستين، وزوجته كانت في نحو الخامسة والثلاثين، وكل الذي كنت أعرفه عنهما هو الخمسة أو الستة أعوام الأخيرة من حياتهما عندما اعتزل "**الجنرال**" الخدمة ورجع إلى "**إنجلترا**" ليعيش بمعاشه فيها.. إنها كانت فترة هادئة عاشا في خلالها في هدوء وسعادة، وكان طفلاهما يمضيان معهما الإجازات المدرسية.. لكن هل كانت حياتهما قبل ذلك في بلاد الشرق هادئة؟ ربما تكمن جذور هذه المأساة في حياتهما في الشرق، إن جدتي كانت كثيرا ما تردد حكمة: "الذنوب القديمة لها ظلال طويلة".. فهل كان سبب الموت هو أحد ظلال الماضي؟ إنه لأمر يصعب اكتشافه.. إن أصدقاءهما في "**إنجلترا**" كانوا في الغالب أصدقاء جددا، ولو أن بعض أصدقائهما القدامى كانوا يزورونهما أحيانا، ولكن الناس ينسون، ولا يسمع المرء منهم عن حوادث في الماضي. قال "**بوارو**":

– نعم، الناس ينسون. قال "**جرووي**":

– إنهم ليسوا كالأفيال.. إن الأفيال تتذكر كل شيء كما يقال.

– من الغريب أن تقول هذا، فهناك صديقة قديمة لي ذكرت الشيء نفسه.
وأضاف محدثا المفتش "**سبنس**":

– صديقة تعرفها أنت.. السيدة "**أوليفر**"؟ قال "**سبنس**":

– أهاه! السيدة "**أريدان أوليفر**"، وهل تعرف إذن شيئا عن هذا الموضوع؟ قال "**بوارو**":

– لا أظن أنها تعرف عنه شيئا الآن ولكنها قد تعرف عنه شيئا قريبا، فإنها من الطراز الذي يكتشف الأمور. ثم سأل "**جرووي**":

– هل كان لديهما كلب؟

– آسف يا سيدي لست أفهم.

– قلت هل كان لدى "**الجنرال**" والليدي "**رفنسكروفت**" كلب؟ وهل أخذاه معهما في النزهة في ذلك اليوم الذي قُتلا فيه؟

– نعم، كان لديهما كلب وأظن أنهما كانا ينزّهانه في أغلب الأيام. قال "**سبنس**":

– لو كان هذا في إحدى قصص السيدة "**أوليفر**" لوجُد الكلب حتما وهو يعوي بجوار الجثتين.. ولكن هذا لم يحدث. وهز "**جرووي**" رأسه نفيا. وأسف "**بوارو**"؛ لأن الكلب لابد من أنه مات ودفن الآن. ثم سأل "**جرووي**" عمن كان بالمنزل يوم الجريمة، وقال:

– لقد أتيت لك بقائمة.. كانت هناك السيدة "**ويتتيكر**" الطباخة والمدبرة العجوز وهي نصف صماء ونظرها ضعيف وكان هذا يوم إجازتها؛ ولذلك لم نحصل على معلومات مفيدة منها، وكانت هناك ضيفة كانت قبل ذلك مربية للأولاد وعرفنا منها أن الليدي "**رفنسكروفت**" كانت قبل ذلك بقليل في مصحة لعلاج أعصابها، كما كان هناك أيضا بستاني.

– لكن أفلا يكون من المحتمل أن غريبا هو الذي اقترف هذه الجريمة؟ أليست هذه فكرتك يا سيد "**جرووي**"؟!

– ليست فكرة ولكنها نظرية.

الفصل السادس

وجدت السيدة "**أوليفر**" – عندما عادت إلى منزلها في صباح اليوم التالي – الآنسة "**ليفنجستون**" في انتظارها، بادرت الآنسة "**ليفنجستون**" قائلة:

– لقد تلقيت مكالمتين تليفونيتين لك يا سيدة "**أوليفر**": الأولى من "**كريشتون**" و "**سميث**".. كانا يريدان معرفة إن كنت قد اخترت البروكار الأخضر أو الأزرق.

– لم أختر بعد وأرجوك أن تذكريني بالموضوع غدا صباحا فأنا أود أن ألقي نظرة على الألوان في ضوء النهار.

– والمكالمة الأخرى من آخر يدعى "**هركيول بوارو**".

– وماذا كان يريد؟

– سأل إن كنت ستستطيعين زيارته بعد الظهر.

– هذا مستحيل، اتصلي به أرجوك فيجب أن أخرج مرة أخرى في الحال.. هل ترك رقم تليفونه؟

– نعم.

– حسنا، فلن نضطر إذن إلى البحث عنه.. اتصلي به وأخبريه بأني آسفة؛ لأنني لا أستطيع الحضور لأني أتعقب أثر فيل.

– معذرة يا سيدتي، إنني لم أفهم.

– قولي إني أتعقب أثر فيل.. إنني لم أفعل شيئا من هذا القبيل من قبل وإنه لأمر شائق. ونظرت إليها الآنسة "**ليفنجستون**" وهي تشك في قواها العقلية. وذهبت السيدة "**أوليفر**" إلى غرفة الجلوس وفتحت كتابا كبيرا من الكتب الموضوعة في المكتبة والتي كانت تبدو بالية، وكانت قد فحصتها وأخذت منها بيانا في الليلة السابقة. وقالت:

– يجب أن تكون هناك نقطة بداية للمرء، وأعتقد عموما أنه يمكنني أن أبدأ بـ"**جوليا**" لو كانت لم تخرف حتى الآن، فإنها كانت دائما لديها أفكار وهي

تعرف هذه المنطقة جيدا؛ لأنها كانت تقيم هناك. نعم، أظن أني سأبدأ بـ"**جوليا**".
قالت "**ليفنجستون**":

– هناك أربعة خطابات تحتاج إلى توقيعك. فأجابتها:

– لا يمكن أن أشغل نفسي بذلك الآن، فليس لديّ ولا دقيقة؛ لأنه يجب أن أذهب إلى "**هميتون كورت**" وهو مشوار طويل.

❋❋❋❋❋

وصلت السيدة "**أوليفر**" إلى شقة السيدة المحترمة "**جوليا كارستيرز**"، وهي سيدة عجوز تعدت السبعين تعيش مع خادمتها الأمينة "**إيما**". وبعد أن تبادلتا التحية جلستا، وذهبت "**إيما**" لإعداد الشاي وراحت السيدتان تتبادلان الذكريات والحديث عن معارفهما، وقالت السيدة "**أوليفر**":

– لقد رأيت ابنتي في العماد "**سيليا رفنسكروفت**" أخيرا، هل تتذكرين والديها؟ لقد مرت بالطبع عدة أعوام على وفاتهما.

– آل "**رفنسكروفت**"؟ لحظة من فضلك.. الم تكن مأساة حزينة؟ الم يعتقد أنه انتحار مزدوج؟ إن هذا حدث في "**أوفركليف**". قالت السيدة "**أوليفر**":

– إن ذاكرتك مدهشة يا "**جوليا**"!

– كانت دائما كذلك ولو أني أحيانا تختلط عليّ الأسماء.. نعم، لقد كانت مأساة، أليس كذلك؟

– بلى بالتأكيد.

– كان "**رودي فوستر**" أحد أقاربي يعرفهما جيدا في "**الملايو**" حيث كان الجنرال "**رفنسكروفت**" له سِجِل خدمة ممتاز، ولكنه كان قد بدأ يصاب بصمم بسيط قبل إحالته إلى المعاش ولَم يكن ليسمع جيدا.

– هل تتذكرينهما جيدا؟

– نعم، إن المرء لا ينسى الناس حقيقة.. أليس كذلك؟ أعني أنهما عاشا في "**أوفركليف**" حوالي خمسة أو ستة أعوام. قالت السيدة "**أوليفر**":

– لقد نسيت الآن اسمها الأول.

– أعتقد أنه كان "**مرجريت**"، ولكن الجميع كانوا ينادونها بـ "**موللي**".. وكان اسم "**مرجريت**" شائعا جدا في هذا الوقت، وكانت ترتدي باروكة، ألا تتذكرين؟

– بلى، أعتقد ذلك ولو أني لست متأكدة تماما.

– أظن أنها حاولت مرة أن تجعلني أشتري واحدة، وقالت إن الباروكة مفيدة جدا في أثناء السفر إلى الخارج.. وكان لديها باروكات مختلفة. واحدة للمساء وواحدة للسفر وواحدة عجيبة جدا، فقد كان بوسع المرء أن يضع عليها قبعة دون أن تفقد رونق الباروكة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– لم تكن معرفتي بهما وثيقة مثل معرفتك أنت بهما، وبما أني كنت في رحلة لإلقاء محاضرات في "**أمريكا**" عندما وقع الحادث فإني بالطبع لم أسمع أية تفاصيل.

– إنه كان لغزا كبيرا، وأعني بذلك أن أحدا لم يعرف الحقيقة، فقد كانت هناك عدة روايات تحكى.

– ما الذي قالوه في التحقيق.. أظن أنه أجري تحقيق؟

– نعم بالتأكيد، فقد كان على الشرطة أن تتحرى الأمر وكان حادثا مبهما، فلم يمكن معرفة ما حدث بالتأكيد، فقد كان يبدو من المحتمل أن يكون الجنرال "**رفنسكروفت**" قتل زوجته ثم انتحر، كما كان يبدو كذلك من المحتمل أن تكون الليدي "**رفنسكروفت**" هي التي قتلت زوجها ثم انتحرت، وثمة احتمال ثالث وهو أن يكون انتحارا متفقا عليه، لكن كان من المستحيل الجزم بشيء على وجه التحديد.

– ألم يكن هناك أي احتمال بأن تكون جريمة قتل؟ ولكن "**جوليا**" نفت ذلك بشدة وأكدت أن المسدس المستعمل كان ملكا لـ "**الجنرال**" وأنه كان لديه مسدس آخر في المنزل، كما أن كل الدلائل كانت تشير إلى أنهما كانا سعيدين، ولم يكن هناك أي سبب معروف لانتحارهما ولو أن المرء لا يعرف دخائل الناس. قالت السيدة "**أوليفر**":

– كلا، إن المرء لا يعرف أبدا، كم هذا صحيح يا "**جوليا**"! هل كانت لديك أنت أية فكرة؟

– إن المرء دائما يتساءل يا عزيزتي.

– نعم، هذا صحيح.

– ربما كان الرجل مصابا بمرض، وأظن أنه يمكن أن يكون قد قيل له إنه سيموت بمرض السرطان، ولكن التقرير الشرعي أثبت أن هذا ليس صحيحا وأنه كان في صحة جيدة، ولو أنه أصيب مرة بذبحة إلا أنه سرعان ما شُفي منها، وأما هي فقد كانت دائما عصبية. قالت السيدة "**أوليفر**":

– نعم، إني أتذكر ذلك ولو أني لم أكن لأعرفهما جيدا. وسألت فجأة:

– هل كانت ترتدي باروكة؟

– إنني في الحقيقة لا أتذكر، ولكنها كانت دائما ترتدي باروكة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– كنت فقط أتساءل، وأعتقد أنه إذا شرع المرء في الانتحار فلن يرى من الضروري ارتداء باروكة، وكذلك إذا نوى قتل زوجه ألا توافقينني؟ وجرت مناقشة بينهما في هذه النقطة، ثم قالت السيدة "**أوليفر**":

– ما رأيك الحقيقي يا "**جوليا**"؟

– إن المرء كما قلت لك يا عزيزتي يتساءل، فقد كثر اللغط حول هذا الموضوع ولكن هذا ما يحدث دائما.

– عنها أو عنه؟

– قيل إنه كان على علاقة بسكرتيرة تساعده في كتابة مذكراته، وإنه ربما كان يريد التخلص من زوجته ليتزوجها ولم تكن هناك أية فضائح، ولكني شخصيا لم أصدق قط هذه الأقاويل.

– ماذا كانت فكرتك أنت؟

– كنت أتساءل عنها هي.

– أتعنين أنه ذكر اسم رجل؟

– أعتقد أنني سمعت أنها كانت على علاقة بشاب أصغر منها في "**الملايو**"،

وأن زوجها استاء من ذلك، وأنه كانت هناك فضيحة صغيرة، ولكن هذا كان من وقت طويل ولا أعتقد أن الأمر ترك بعد ذلك أية آثار.

– ألا تظنين أنه كانت هناك أقاويل أخرى في "**إنجلترا**"؟ ألم تكن على علاقة خاصة بأي أحد من الجيران؟ ألم تكن هناك أدلة على أية مشاجرات بينهما أو أي شيء من هذا القبيل؟

– كلا، لا أعتقد ذلك وقد قرأت بالتأكيد في ذلك الحين كل ما كان متعلقا بهذا الحادث وتناقشنا فيه؛ لأني كنت أشعر بأن وراءه قصة أو مأساة حب.

– ألم يكن هناك مرض عقلي في العائلة؟

– أتعنين الولد؟ كلا، لم يكن هناك شيء من هذا القبيل في عائلة "**رفنسكروفت**"، وأنا متأكدة من ذلك ولكني لا أملك منع نفسي من التفكير فإنه ربما كان هناك رجل.

– أتعنين أنها...؟

– إنه أمر محتمل فمثلا الباروكات.

– لا أفهم.. ما علاقة الباروكات بالأمر؟

– إنها كانت تريد أن تتجمل على الرغم من أنها كانت في حوالي السادسة والثلاثين، وكانت تستعمل مساحيق كثيرة، وبدأت تفعل ذلك بعد أن جاءا للإقامة هناك بقليل وكانت امرأة جذابة.

– أتعنين أنها ربما تعرفت إلى رجل ما؟

– كان هذا هو رأيي دائما، فإنه إذا كانت لرجل ما علاقة بفتاة يكتشفها الناس سريعا؛ لأن الرجال لا يجيدون إخفاء أسرارهم ولكن المرأة أكثر حذرا.

– أتعتقدين ذلك حقا يا "**جوليا**"؟

– ليس بالتأكيد؛ لأن الناس تعرف هذه الأمور دائما.. أعني مثل الخدم أو السائق أو البستاني أو شخص من الجيران، وعند ذلك يبدأ الحديث، لكن مع ذلك فإنه أمر محتمل وقد يكون "**الجنرال**" قد علم به.

– أتعنين أنها جريمة قتل بدافع الغيرة؟

– نعم أعتقد ذلك. ثم أبدت رأيها في أنها ترجح أن "**الجنرال**" هو القاتل؛ لأنه

من الصعب على المرأة إخفاء مسدس في حقيبة يد عادية، ثم قالت:
– لابد من أن الأمر شائق بالنسبة إليك يا عزيزتي؛ لأنك تؤلفين روايات بولسية؛ ولذلك أعتقد أن لديك أفكارا أفضل من أفكاري؛ فانت أكثر إلماما بما هو محتمل أكثر. قالت السيدة "**أوليفر**":
– أنا لا أعرف ما الأمر الأكثر احتمالا لأني أخترع كل الجرائم التي أكتبها وأعني بذلك أن ما يحدث في رواياتي هو ما أريده أن يحدث وليس شيئا حدث فعلا أو يمكن أن يحدث؛ ولذلك فأنا في الحقيقة أسوأ سيدة يمكن أن تتحدث في ذلك وأنا مهتمة بمعرفة رأيك؛ لأنك يا "**جوليا**" تعرفين الناس جيدا. ونهضت السيدة "**أوليفر**" بعد ذلك بقليل وانصرفت.

الفصل السابع

نظرت السيدة "**أوليفر**" ببعض الشك إلى الكوخ البالي في الشارع الجانبي وتأكدت من نوتة صغيرة أنها في المكان المقصود، ثم دقت برفق على الباب، وبعد قليل سمعت وقع أقدام ويداً تحاول فتح الباب، وأخيرا فُتح الباب. وأطلت من ورائه امرأة عجوز يبدو أنها مصابة بالروماتيزم ولا يبدو على وجهها الترحيب، بل يبدو عليه الامتعاض من الذين يدقون أبواب بيت لا تريد صاحبته إلا السكون، وكانت بين السبعين والثمانين ولكنها مازالت المدافعة الشجاعة عن بيتها. وبادرت تقول:
– لا أعرف ماذا تريدين ولكني أقول ذلك مقدما.. ولكنها توقفت فجأة، وقالت:
– إنها الآنسة "**أريدان**" يا للعجب! إنها الآنسة "**أريدان**". قالت السيدة "**أوليفر**":
– أعتقد أنه رائع منك أن تتذكريني.. كيف حالك يا سيدة "**متشام**"؟
– الآنسة "**أريدان**"! يا للعجب! وفكرت السيدة "**أوليفر**":
– لقد مضى زمن طويل منذ أن ناداني أحد بالآنسة "**أريدان**"، ولكن نبرة هذا الصوت – لو أنه ضعف من السن المتقدمة – مازال مألوفا. وقالت السيدة العجوز:

– ادخلي يا عزيزتي تفضلي بالدخول، إنك تبدين بصحة جيدة.. لا أعرف كم عاما مضى منذ أن رأيتك.. خمسة عشر عاما على الأقل. وكان قد مضى زمن أكثر من هذا ولكن السيدة "أوليفر"، لم تصرح لها بذلك. ودخلت وتقدمتها السيدة "متشام" وهي تعرج قليلا نحو حجرة جلوس صغيرة يوجد فيها عدد كبير من الصور؛ بعضها لأطفال وبعضها لأشخاص في ربيع العمر.. وكانت إحداها في إطار فضي تمثل شابة مرتدية ثوب تقديمها للبلاط، كما كان ثمة صور تمثل ضابطين بحريين وضابطين في الجيش. وجلست السيدة "أوليفر" على مقعد بناء على دعوة السيدة "متشام" التي جلست هي على كنبة وأسندت ظهرها بمخدة ببعض الصعوبة.

– يا للعجب يا عزيزتي، اأرك! الا تزالين تكتبين قصصك الظريفة؟

– بلى. قالتها السيدة "أوليفر" وقد بدا على وجهها شيء من الدهشة لوصف قصص الجريمة بأنها ظريفة، ولكن هذه هي طريقة كلام السيدة "متشام". قالت السيدة "متشام":

– إني أعيش وحدي الآن.. أتتذكرين أختي "جريسي"؟ لقد ماتت في الخريف الماضي بمرض السرطان، وقد أجروا لها عملية جراحية ولكن الأوان كان قد فات.

– إني آسفة لذلك. وأخذتا تتحدثان، وأخبرتها السيدة "أوليفر" بأنها عندما وجدت نفسها في هذه المنطقة فكرت في أن تأتي لزيارتها.

– أهلا بك! وربما أتيت أيضا لنتحدث عن الأوقات التي أمضيناها معا فإن هذا دائما شيء لطيف، اليس كذلك؟ وأجابت السيدة "أوليفر" وهي تشعر بارتياح؛ لأن مضيفتها هي التي فتحت هذا الحديث. قالت السيدة "أوليفر":

– بلى بالتأكيد، يا لعدد الصور عندك! وقالت لها السيدة "متشام" إنها كانت تقيم في منزل للعجزة ولم تكن مستريحة فيه، ثم جاءت سيدة لطيفة من جمعية وأخبرتها بأن هناك أكواخا صغيرة مستقلة لمن يريد، وهناك خادمة يومية تأتي كل يوم لخدمتها والاطمئنان عليها. وهنا على الأقل تشعر بأنها وسط عفشها وأشيائها الخاصة في بيئتها. وأن لديها هدايا من كل من ربتهم ولم ينسوها. وراحت تفرج السيدة "أوليفر" على كل الهدايا: منضدة صغيرة، منفضة سجائر على شكل

جعران.. إلخ.. إلخ. مما أرسله ويرسله إليها هؤلاء من جميع أنحاء العالم. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أنت نفسك سافرت كثيرا لأماكن مختلفة من العالم، أليس كذلك؟ ذهبت إلى "**الهند**"، و "**هونج كونج**"، ثم "**مصر**"، و "**أمريكا الجنوبية**"، أليس كذلك؟

– بلى، لقد سافرت كثيرا. قالت السيدة "**أوليفر**":

– إنني أتذكر أنك كنت مع عائلة "**الجنرال**" عندما كنت أنا في "**الملايو**".. ما اسمه؟ انتظري لحظة فأنا لا أستطيع تذكر الاسم – هل كان الجنرال "**رفنسكروفت**" وزوجته؟

– كلا، بل كنت في هذا الوقت مع عائلة القاضي "**برنبي**"، وكنت أنت في رحلة حيث أقمت فترة عندهم وكانت السيدة "**برنبي**" صديقة قديمة لك. قالت السيدة "**أوليفر**":

– نعم، إن المرء تختلط عليه الأسماء في بعض الأحيان. وراحت السيدة "**متشام**" تتذكر حياتها مع هذه العائلة، ثم قالت:

– ما الاسم الذي ذكرته؟ "**رفنسكروفت**"؟ نعم، إني أتذكرهم فإن العائلتين كانت تربطهما علاقة صداقة، وكنت مازلت مع آل "**برنبي**" أعاون السيدة "**برنبي**" في أمورها الخاصة بعد أن ذهب الأولاد إلى المدارس عندما حدث هذا الأمر الفظيع لآل "**رفنسكروفت**".. نعم لن أنسى هذا أبدا فإنه كان أمرا مريعا، أليس كذلك؟

– أعتقد ذلك.

– لقد حدث بعد رجوعك إلى "**إنجلترا**" بوقت طويل، وكانا زوجين لطيفين وكانت صدمة لهما. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أنا في الحقيقة لا أتذكر الآن. واسترسلت بشيء من الخبث:

– ولست أفهم ماذا تعنين.

– نعم، فإن أغلب الناس ينسون ولكني أتذكر.. لقد قيل إنها كانت دائما مختلة القوى العقلية منذ أن كانت طفلة، وقيل إن هناك قصة قديمة، وإنها أخذت طفلا من مهده ورمته في النهر غيرة.. وقال آخرون إنها كانت تريد أن ترسل الطفل إلى الجنة.

– هل.. هل تعنين السيدة "**رفنسكروفت**"؟

– كلا بالطبع، إنك لا تتذكرين مثلي.. كانت الأخت.

– أختها؟!

– أنا لست متأكدة إن كانت أختها أم أخته هو.. لقد قيل إنها كانت في مصحة عقلية لمدة طويلة منذ أن كانت في الحادية أو الثانية عشرة، ثم قالوا إنها شفيت وخرجت من المصحة واقترن بها ضابط في الجيش ثم حدث إشكال، وبعد ذلك سمعوا أنها أُدخلت مرة أخرى إلى مستشفى راق للأمراض العقلية، حيث يعامل المرضى معاملة ممتازة، وحيث كان "**الجنرال**" وزوجته يذهبان لزيارتها، وكان أطفالها يربون بعيدا عنها؛ لأنهم كانوا ينزعجون منها، ولكنها شفيت وعادت لتعيش مع زوجها الذي مات بعد قليل بالضغط العالي أو القلب لست متأكدة، واضطربت نتيجة لذلك، وجاءت للإقامة مع آل "**رفنسكروفت**" وكانت تبدو سعيدة وتحب الأطفال.. ثم وقعت الحادثة لطفلة كانت قد جاءت للعب مع ابنة "**الجنرال**" ولا أتذكر الآن التفاصيل، ولكن المربية الهندية كانت مضطربة جدا، وكانت تحب الفتاتين كثيرا وصممت على أخذهما من المنزل؛ لأنهما لم تكونا آمنتين هناك وحامت الشبهات حول هذه السيدة.. وأرسلها أقاربها إلى "**إنجلترا**" حيث أدخلت مصحة أخرى راقية فقد كانت عائلة زوجها غنية، ومن الجائز أنها شفيت بعد ذلك ولكني لا أعرف ولم أفكر في الأمر منذ عدة سنوات، إلا أنه مر بذهني عندما ذكرت لي اسم "**الجنرال**" والليدي "**رفنسكروفت**". إني لأتساءل أين هما الآن. لابد من أنه على المعاش الآن منذ وقت طويل. قالت السيدة "**أوليفر**":

– إنه لأمر محزن وربما قرأت عنه في الصحف.

– ما الذي قرأته؟

– لقد اشتريا منزلا في "**إنجلترا**" ثم.. قاطعتها السيدة "**متشام**" قائلة:

– آه بدأت أتذكر الآن، لقد قرأت شيئا عن هذا الموضوع في الصحف.. نعم، وتذكرت أن اسم "**رفنسكروفت**" ليس غريبا عليّ ولكني لم أتذكره جيدا في ذلك الوقت. ألم يقعا من فوق ربوة. أو شيء من هذا القبيل؟

– ربما شيء من هذا القبيل.

– كم يسرني رؤيتك يا عزيزتي! يجب أن تدعيني أقدم إليك فنجانا من الشاي. قالت السيدة "**أوليفر**":

– إنني في الواقع لست محتاجة إلى الشاي ولا أريده في الحقيقة.

– بل إنك محتاجة إلى شراب الشاي، وإن لم يكن عندك مانع فهل تاتين معي إلى المطبخ؟ إني أمضي فيه الآن معظم وقتي فإن الحركة تسهل عليّ هناك ولكني آتي بضيوفي إلى هذه الحجرة؛ لأني فخورة بما فيها كما أني فخورة بأطفالي. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أعتقد أن من هم مثلك قد أمضوا حياة رائعة مع كل هؤلاء الأطفال الذين قمت بتربيتهم واعتنيت بهم.

– نعم، إني أتذكرك عندما كنت طفلة وكنت تحبين الاستماع إلى القصص التي كنت أرويها لك، وكانت هناك قصة عن قرود فوق شجرة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– نعم، إني أتذكر هذه القصص. كان هذا منذ زمن طويل. وتذكرت فعلا الوقت الذي كانت فيه السيدة "**متشام**" مربيتها والقصص التي كانت تحكيها لها عن "**الهند**" و "**مصر**". ونظرت حولها قبل أن تتبع السيدة "**متشام**" خارج الغرفة إلى صور التلميذات والتلاميذ والأطفال وأناس متوسطي العمر بعثوا بصورهم للمربية؛ لأنهم لم ينسوها. ومن الأرجح أنها تمضي آخر أيامها في بعض اليسر والراحة لأن هؤلاء يمدونها بالمال، وشعرت السيدة "**أوليفر**" برغبة في البكاء ومنعت نفسها بصعوبة من ذلك، وتبعت السيدة "**متشام**" إلى المطبخ، وهناك قدمت إليها الهدايا التي أتت بها إليها.

– يا للّعب! علبة شاي "**توبهول تتام**"! كان دائما شايي المفضل وقليلا ما أستطيع الحصول عليه هذه الأيام وهذا بسكويتي المفضل.. إنك لا تنسين.. كان أحد الولدين اللذين يأتيان للعب معك يسميك الليدي "**الفيلة**" وكان الآخر يسميك الليدي "**البجعة**". قالت السيدة "**أوليفر**":

– إنك لا تنسين الكثير، أليس كذلك يا "**ناني**"؟

– هناك قول قديم مضمونه: "الأفيال لا تنسى".

الفصل الثامن

دخلت السيدة "**أوليفر**" صيدلية "**ويليمز آند برنيت**" التي تحتوي أيضا على مجموعة كبيرة من أدوات التجميل، وتمهلت وهي تنظر إلى مستحضرات "**إليزابيث آردن**"، و "**هيلينا روبنشتين**" و "**ماكس فكتور**"، وتوقفت أخيرا بجوار فتاة ممتلئة قليلا وسألتها عن نوع من أحمر الشفاه، ثم هتفت بدهشة:

– "**مارلين**"! ألست "**مارلين**؟

– يا للعجب، السيدة "**أوليفر**"! كم أنا مسرورة لرؤيتك، لا شك في أنني محظوظة! إن جميع الفتيات سيهرولن إلى هنا عندما أخبرهن بأنك أتيت هنا لشراء بعض الأشياء. قالت السيدة "**أوليفر**":

– لا داعي إلى إخبارهن.

– إني متأكدة من أنهن سيأتين بنوت التوقيعات.

– إني أفضل لو لم يفعلن.. كيف حالك يا "**مارلين**"؟

– لا بأس.. لا بأس.

– لم أعرف أنك مازلت تعملين هنا.

– إنه مكان أفضل من غيره وهم يحسنون معاملتنا هنا، وقد مُنحت زيادة في المرتب في العام الماضي وأصبحت الآن تقريبا مسؤولة عن قسم التجميل هنا.

– وكيف حال والدتك؟ هل هي بخير؟

– نعم.. إنها ستسر عندما تعرف أنني قابلتك.

– هل هي مازالت تقيم في منزلها نفسه في الطريق المؤدي للمستشفى؟

– نعم، مازلنا هناك فإن صحة أبي ليست على ما يرام، وقد دخل المستشفى لفترة، ولكن أمي بخير وستسر عندما تعرف أنني قابلتك، هل ستنزلين بالبلدة؟

– كلا، إنني فقط أمر بها وكنت في الواقع في زيارة صديقة قديمة وإني لأتساءل الآن... ونظرت إلى ساعتها، ثم تابعت:

– هل توجد والدتك في المنزل الآن يا "**مارلين**"؟ يمكنني ان أذهب لزيارتها وأتبادل معها حديثا قصيرا قبل أن أغادر البلدة.

– حقا؟ إن ذلك سيسرها كثيرا وإني آسفة لأني لا أستطيع ترك العمل قبل ساعة ونصف. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– لنترك هذا لفرصة اخرى إذن، ولكنني لا أستطيع ان أتذكر جيدا... هل كان رقم 17 او هل كان له اسم؟

– إنه يسمى "**لوريل كوتج**" .

– بالتأكيد كم هذا غباء مني! حسنا، يسعدني أني رأيتك. وهرعت من المحل حاملة أحمر الشفاه الذي لم تكن لتريده في الواقع. وركبت سيارتها وذهبت إلى "**لوريل كوتج**" حيث تركت السيارة أمامه وطرقت الباب، وفتحته امرأة نحيفة في حوالي الخمسين تعرفت إليها في الحال.

– أهذه أنت يا سيدة "**أوليفر**" ! إنني لم أرك منذ أعوام وأعوام.

– نعم، لقد مر وقت طويل جدا.

– حسنا، تفضلي بالدخول.. هل يمكنني أن أعد لك فنجان شاي؟

– قد يكون هذا غير ممكن فقد تناولت الشاي مع صديقة، ويجب أن أرجع إلى "**لندن**" . وقد صادف أن دخلت الصيدلية لشراء شيء ورأيت "**مارلين**" هناك.

– نعم، إنها حصلت على عمل جيد هناك وهم يقدرونها كثيرا ويقولون إنها نشيطة.

– إن هذا أمر جميل وكيف حالك يا سيدة "**بوكل**" ؟ إنك تبدين في صحة جيدة ولم يتغير شكلك عن آخر مرة رأيتك فيها.

– لا أظن ذلك، فقد ابيض شعري ونقص وزني كثيرا.

– يبدو أن هذا يوم حافل بمقابلة أصدقاء كثيرين ممن كنت أعرفهم. وتبعت السيدة "**بوكل**" إلى غرفة جلوس صغيرة، وتابعت:

– لا أعرف إن كنت تتذكرين السيدة "**كارستيرز**" .. السيدة "**جوليا كارستيرز**" .

– بالتأكيد إني أتذكرها، لابد من أن السن تقدمت بها.

– نعم هذا حقيقي، ولكننا تحدثنا عن الأيام التي مرت وفي الواقع تحدثنا عن المأساة التي حدثت – عندما كنتُ في "**أمريكا**" ؛ ولذلك لم أعرف عنها الكثير – لآل "**رفنسكروفت**" .

– إني أتذكر هذا جيدا.

– ألم تكوني تعملين في وقت ما عندهما يا سيدة "**بوكل**"؟

– بلى، كنت أعمل هناك ثلاث مرات نهارا في الأسبوع وكانا شخصين لطيفين من الجيل القديم، "**جنتلمان**" "**وليدي**" حقيقيان.

– كانت مأساة حقيقية.

– نعم.

– هل كنت تعملين عندهما في ذلك الوقت؟ أقصد عندما وقع الحادث؟

– كلا، كنت قد تركت العمل؛ لأن عمتي العجوز "**إيما**" جاءت للإقامة عندي وكانت ضعيفة الإبصار، كما أنها كانت مريضة ولم يكن بوسعي أن أجد الوقت للخروج للعمل عند الآخرين، ولكني كنت أعمل لديهما قبل الحادث بحوالي شهرين.

– كان أمرا فظيعا، وفهمت أن الشرطة كان من رأيها أنه انتحار متفق عليه.

– أنا لا أصدق هذا، بل إني على يقين بأنهما لا يمكن أن يكونا قد انتحرا معا، فهما ليسا من هذا الطراز، فقد كانا يعيشان عيشة هانئة ولو أنهما بالتأكيد لم يقيما هنا طويلا. ومضت السيدة "**أوليفر**" تجرها في الحديث فعرفت منها أن "**الجنرال**" كان يتناول حبوبا للقلب، وأنها تظن أن زوجته كانت تفتقد في بعض الأحيان الحياة المرحة التي تعودتها في الخارج، كما أخبرتها بأن الليدي "**رفنسكروفت**" كانت لديها أربع باروكات جميلة جدا. وسألتها السيدة "**أوليفر**" عن رأيها في سبب الفاجعة فأجابت السيدة "**بوكل**" أنها تعتقد أن ذلك من فعل شخص ثالث وغريب، وأنها شخصيا تشك في البستاني؛ لأنه كانت له سوابق، وكان "**الجنرال**" يعرف ذلك ويريد أن يعطيه فرصة أخرى في الحياة، كما أن هناك احتمالا أن يكون الجاني شخصا ممن يتعاطون المخدرات، ونفت بشدة احتمال وجود رجل آخر في حياة "**الليدي**" أو فتاة أخرى في حياة "**الجنرال**"، وقالت إن ابنتهما كانت في مدرسة في "**سويسرا**" وكانت مغرمة بوالديها، كما أن الولد "**إدوارد**" كان في مدرسته. وقالت:

– إن "**الجنرال**" كان قلقا من أجل "**إدوارد**"؛ إذ كان يبدو أنه لا يحب أباه؟

– هذا أمر عادي والأولاد يمرون جميعا بهذه المرحلة.. هل كان يحب أمه؟

– كانت كثيرة الاهتمام به وكان هذا يضايقه، فإن الأولاد لا يحبون زيادة اهتمام الأمهات بهم ونصائحهن بارتداء ملابس ثقيلة، وكان أبوه يكره طريقة قص شعره فقد كانت موضة الشعر الطويل قد بدأت في الظهور. ولو أنها لم تكن مثل هذه الأيام، وأضافت:

– إن البستاني "**فريد**" من الممكن أن يكون قد ضرب "**الجنرال**" بالرصاص عندما اكتشف "**الجنرال**" سرقة بعض الأشياء، ثم اضطر إلى إطلاق الرصاص على "**الليدي**" عندما فاجأته وهو يرتكب الجريمة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– ماذا كان رأي زوجك في الموضوع؟ وبالتأكيد إنه كان لا يعرف عنهما مثلك، لكن ربما يكون قد سمع الكثير.

– إنه بالتأكيد سمع كثيرا من القيل والقال في حانة "**جورج آند فلاج**" في المساء، وقد قيل إنها كانت تشرب في الخفاء وهذا في الواقع كذب كما أعرف أنا، وكان هناك ابن أخ يأتي لزيارتهما أحيانا ووقع في مشكلة مع الشرطة ولكنه كان أمرا بسيطا لم تعره الشرطة أهمية تذكر، ولم يكن وقت الحادث موجودا هنا على أي حال.

– ألم يكن هناك شخص آخر يقيم معهما في المنزل؟

– كان لديها أخت تأتي أحيانا لزيارتهما وكانت تشبه الليدي "**رفنسكروفت**"، ومن رأيي أنها كانت تثير بعض المشاكل بينهما عندما كانت تحضر للزيارة، وكانت من الطراز الذي يحب إثارة المشاكل وتقول أشياء تغضب الناس.

– هل كانت الليدي "**رفنسكروفت**" شغوفة بها؟

– لا أعتقد ذلك حقا، وأعتقد أن الأخت كانت تفرض نفسها عليهما وعلى الرغم من أن "**الليدي**" لم تكن لتكره وجودها إلا أنها كانت تجد وجودها متعبا في بعض الأحيان على ما أعتقد، وكان "**الجنرال**" يحبها؛ لأنها كانت تجيد لعب الورق والشطرنج، وكان يستمتع بذلك.. كانت امرأة مسلية وكانت تدعى السيدة "**جيريبوي**" أو شيء من هذا القبيل.. كانت أرملة وأظن أيضا أنها كانت تقترض منهما نقودا.

- هل كنت تحبينها؟

- كلا يا سيدتي.. كنت لا أحبها؛ لأنها في رأيي كانت ممن يثرن المتاعب، بيد أنها لم تكن موجودة حين وقعت الفاجعة وأنا لا أتذكرها جيدا، وأذكر أنها كانت قد صحبت ابنا لها مرة أو مرتين ولم أمل إليه هو الآخر. وهنا أدارت السيدة "**أوليفر**" الحديث إلى "**سيليا**"، وقالت السيدة "**بوكل**" إنها رأتها أخيرا.. وهي تفكر في الزواج. وسألتها عما إذا كانت تعرف سيدة تدعى السيدة "**بورتون كوكس**". ولكن السيدة "**بوكل**" لم تكن لتعرفها، وقالت السيدة "**أوليفر**":

- حسنا، يجب ألا أمكث أطول من ذلك.. لقد سررت لرؤيتك ورؤية "**مارلين**".

الفصل التاسع

قال "**جورج**" خادم "**بوارو**" الخاص:

- كانت هناك مكالمة تليفونية لك من السيدة "**أوليفر**".

- وماذا قالت يا "**جورج**"؟

- تساءلت إن كان يمكنها أن تأتي لرؤيتك الليلة بعد العشاء.

- سيكون هذا رائعا، فقد مررت بيوم متعب وستكون رؤية السيدة "**أوليفر**" تجربة مجددة للنشاط، فإنها دائما مسلية كما أن ما تقوله غير منتظر، وعلى فكرة.. هل ذكرت شيئا عن الفيلة؟

- أفيال يا سيدي؟ كلا لا أعتقد ذلك.

- يبدو إذن أن الأفيال كانوا مخيبين للأمل. ونظر "**جورج**" إلى سيده ببعض الشك، فقد كانت هناك أوقات لا يفهم فيها تعليقاته. قال "**بوارو**":

- اتصل بها وقل لها إنه سيسرني جدا استقبالها. وخرج "**جورج**" من الغرفة لتنفيذ هذا الأمر ثم عاد ليقول إن السيدة "**أوليفر**" ستحضر في حوالي التاسعة إلا الربع. وقال "**بوارو**":

- جهز قهوة وكعكا وأعتقد أنني قد طلبت أخيرا كعكا من "**فورتنوم وماسون**".

– هل أجهز أي نوع من "الليكور" يا سيدي؟
– كلا وسأتناول أنا "سيرو دي كاسي".
– حسنا يا سيدي.

❁❁❁❁❁

وصلت السيدة "**أوليفر**" في الميعاد واستقبلها "**بوارو**" بكل سرور وترحيب، وقال "**بوارو**":
– كيف حالك يا سيدتي العزيزة؟
– منتهى الإرهاق.. هالكة تماما.. لقد كنت أتعقب الأفيال بجنون في كل مكان.. إنك لا يمكن أن تتصور أو تصدق كمية البنزين التي استهلكتها، والقطارات التي ركبتها، والخطابات التي كتبتها، والبرقيات التي أرسلتها، وكم يبدو هذا متعبا.
– إذن استريحي وتناولي بعض القهوة.
– قهوة جيدة.. نعم سأتناولها، إنها ما أحتاج إليه فعلا.
– هل يمكن أن أسأل إن كنت قد حصلت على أي نتائج؟
– حصلت على كثير من النتائج، والمشكلة هي أنني لا أعرف ما إذا كانت هناك فائدة من أي منها.
– ألم تحصلي على وقائع؟
– كلا ليس حقيقة.. لقد عرفت أشياء قال لي البعض إنها وقائع ولكني شخصيا أشك كثيرا في أن تكون كذلك.
– هل هي قيل وقال؟
– كلا، إنها كانت ذكريات، وكثير من الناس لديهم ذكريات، والمشكلة هي أنه عندما يتذكر المرء أشياء فإنه لا يتذكرها دائما كما كانت، أليس كذلك؟
– بلى، ولكنها يمكن أن توصل إلى نتائج، أليس كذلك؟ قالت السيدة "**أوليفر**":
– وما الذي فعلته انت؟

– إنك دائما صارمة يا سيدتي وتطلبين مني أن أتحرك بسرعة وأن أعمل.
– وهل تحركت بسرعة هنا وهناك؟
– كلا.. ولكني عقدت بعض الاستشارات مع آخرين من أصحاب مهنتي.
– يبدو أن الأمر كان أهدأ مما كنت أفعله.. كم تبدو هذه القهوة جيدة! لا يمكنك أن تتصور كم أنا متعبة وكم أنا في حيرة. وطلب منها "**بوارو**" أن تروي له ما سمعته، وقالت له السيدة "**أوليفر**" إنها قد أتت له بقائمة من الروايات التي سمعتها ولو أنها ليست متأكدة من درجة صحتها. ولخّصت له ما سمعته:
– هناك رواية أن "**الجنرال**" أحب سكرتيرته وقتل زوجته ليتزوج الفتاة، لكن بعد أن ارتكب جريمته شعر بفظاعة ما فعله وانتحر.
ورواية أخرى أن الزوجة كانت على علاقة بشاب يصغرها وأن "**الجنرال**" قتلها عندما علم بذلك، ثم انتحر ندما. ثم هناك رواية أخرى تقول إن الزوجة علمت بخيانة زوجها فقتلته وانتحرت. ولكن كل هذه روايات ولا يعرف أحد ما هي الحقيقة. وهناك كذلك قصة عن بستاني أحمق كان يقيم هناك. على أي حال، لقد دونت لك كل شيء. وكانت الليدي "**رفنسكروفت**" قد أصيبت بحمى ولابد من أن شعرها سقط منه الكثير؛ لأنها اشترت أربع باروكات ووجدت عندها.
قال "**بوارو**":
– نعم، لقد سمعت هذا أيضا.
– وممن سمعته؟
– من صديق في الشرطة أعاد فحص مستندات التحقيق.. أربع باروكات! إني أود أن أسمع رأيك في ذلك يا سيدتي، هل تعتقدين أن أربع باروكات تبدو زائدة عن الحاجة؟ قالت السيدة "**أوليفر**":
– نعم.. أعتقد ذلك حقا، فلم أسمع قط عن سيدة لديها أربع باروكات.
وفتحت السيدة "**أوليفر**" حقيبتها وأخرجت نوتة صغيرة راحت تقرأ منها ملخصا لكل تحرياتها. وقال لها "**بوارو**":
– إن المرء يسمع من الناس بعض الوقائع التي لم ينسوها والتي ما كان ليعلم بها لولاهم، وإن هناك بعض الذكريات تؤدي إلى نظريات.. نظريات عن الخيانة

الزوجية، المرض، اتفاق على الانتحار.. والكثير من هذه الأمور التي تعرفينها، وقال لها إنه عرف من تحرياته أن القضية مازالت لغزا بالنسبة إلى الشرطة، وأنهم لا يعرفون شيئا عن الفترة التي سبقت الفاجعة من حياة آل "**رفنسكروفت**" خارج "**بريطانيا**". قالت السيدة "**أوليفر**":

– أعرف ما تقصده وقد حصلت على بعض المعلومات من مربية عجوز في حوالي الثمانين الآن، وأتذكرها منذ أن كنت طفلة وكانت تروي لي قصصا عن "**مصر**" و "**الهند**" و "**سيام**" و "**هونج كونج**"... إلخ.

– هل كان ثمة شيء أثار اهتمامك؟

– نعم، لقد تحدثت عن مأساة وكانت غير متأكدة من الأسماء، وليست متأكدة إن كانت قد حدثت لآل "**رفنسكروفت**" أو لعائلة "**جنرال**" آخر. كانت هناك امرأة مصابة بمرض عقلي وقد حاولت قبل ذلك قتل أطفالها. ثم أُدخلتْ مستشفى للأمراض العقلية وبعد مدة قِيْلَ إنها شفيت وخرجت، ورحلت إلى "**مصر**" أو "**الملايو**"، وأقامت عند أقاربها، ثم حدثت هناك فاجعة أخرى لها علاقة بالأطفال؟ على أي حال، لقد تستروا على الأمر.. وقد تساءلت عما إذا كان هناك مرض عقلي في عائلة الجنرال "**رفنسكروفت**" أو في عائلة زوجته. وأعتقد أنه لا يلزم أن تكون أختا فقد تكون ابنة عم أو شيء من هذا القبيل، لكن.. حسنا، لقد بدا لي أنه خيط ممكن للتحري. قال "**بوارو**":

– نعم، فهناك دائما احتمال أن يظل شيء ما نائما سنوات عديدة ثم يستيقظ من رقاده، وهذا ما قاله لي شخص ما: "إن الذنوب القديمة لها ظلال طويلة". قالت السيدة "**أوليفر**":

– قد تكون لهذا القول علاقة بما قالته لي هذه المرأة الفظيعة في ذلك الغداء الأدبي.

– أتعنين عندما أرادت أن تعرف؟

– نعم، عندما كانت تريدني أن أكتشف من ابنتهما إن كانت أمها هي التي قتلت أباها أو العكس.

– أو كانت تظن أن الفتاة قد تعرف هذا؟

– هذا محتمل. اعني ليس في ذلك الوقت، فقد يكون قد أُخفي عليها الأمر، لكن من المحتمل أنها تعرف أشياء عن الموضوع تجعلها تدرك الظروف التي كانت في حياتهما، وأيهما الأكثر احتمالا أن يقتل الآخر، ولو أنها في الغالب لن تذكر هذا أو تتكلم عنه لأي شخص.

– وتقولين إن هذه المرأة السيدة..

– لقد نسيت اسمها الآن، أظن أنه "**بورتون**". لقد قالت شيئا فحواه أن ابنها وصديقته يفكران في الزواج، وبوسعي أن أفهم أن المرء يجب أن يعرف إن كان أحد أبويها له أقارب مجرمين في عائلته أو عرق جنون، وقد فكرت إن كانت الأم التي قتلت الأب فسيكون من الحماقة للشاب أن يتزوجها، أما إن كان الأب هو القاتل فلن يهتم بهذه الدرجة.

– أتعنين أنها تعتقد أن الوراثة تأتي عن طريق النساء؟ قالت السيدة "**أوليفر**":

– إنها لم تكن امرأة ذكية ولكنها متسلطة وتعتقد أنها تعرف الكثير، لكن لا أعتقد أن هذه هي طريقة تفكير النساء. قال "**بوارو**":

– هناك نُقط ابسط أُفضِّلها في تقريرك.

– مثل ماذا؟

– الباروكات الأربع! قالت السيدة "**أوليفر**":

– لقد أثارت اهتمامي ولكني لا أعرف سبب ذلك، فلا تبدو أنها تعني شيئا.. وأما القصة الأخيرة فقد كانت عن شخص مصاب بمرض عقلي أُدخل مستشفى لأنه قتل طفلا، ولكني لا أرى أن في ذلك سببا يجعل "**الجنرال**" أو غيره يشعر برغبة في قتل نفسه. قال "**بوارو**":

– إلا لو كان أحدهما له يد في الأمر.

– أتعني أنه ربما قتل الجنرال "**رفنسكروفت**" طفلا.. ربما كان طفلا غير شرعي له أو لزوجته؟ كلا، أعتقد أننا نبالغ.. وربما تكون هي التي قتلت طفلها أو طفل زوجها غير الشرعي.

– ومع ذلك فالناس غالبا يكونون كما تدل عليهم ظواهرهم.

– أتعني...

– أعني أنهما كانا يبدوان زوجين متحابين عاشا معا دون مشاجرات ولا يبدو أنه كان لهما سجل مرضي إلا احتمال عملية أجريت أو شخص ذهب إلى "**لندن**" لاستشارة إخصائي، واحتمال سرطان لم يستطيعا أن يواجهاه، لكن يبدو أن كل ما لدينا هو احتمالات وليست تأكيدات، ويقول أصدقائي من رجال الشرطة الذين تتبعوا التحقيق في ذلك الوقت إنه لسبب أو آخر يرغب هذان الزوجان في مواصلة الحياة.. لماذا؟! قالت السيدة "**أوليفر**":

– كنت أعـرف زوجين في أثناء الحـرب قـررا أنه لو نزل الألمان في "**إنجلتـرا**" فسينتحران؛ لأن الحياة ستكون مستحيلة، وكنت أجد هذا في غاية السخف، ولكن هناك أشخاصا ليست لديهم الشجاعة على مواجهة الحياة، وإني لأتساءل إن كان موت "**الجنرال**" وزوجته قد أفاد أي شخص.

– أتعنين إذا كان شخص ما قد ورث مالا منهما؟

– كلا، لكن ربما أتيح لأشخاص آخرين أن يحيوا حياة أفضل، ربما كان هناك شيء في حياتهما لم يكونا يريدان أن يعلم به أي من أولادهما. وتنهد "**بوارو**"، وقال:

– إن مشكلتك هي أنك كثيرا ما تفكرين في الأمور التي يمكن أن تكون قد حدثت، وتمدينني بأفكار محتملة لو كانت فقط أيضا أفكارا مرجحة! لماذا؟ لماذا كان موت هذين الزوجين ضروريا؟ لماذا.. لم يكن ثمة ما ينغص حياتهما ولم يكونا مريضين، وكل الدلائل تشير إلى أنهما كانا سعيدين.. إذن فلماذا في أمسية يوم جميل ذهبا للنزهة فوق الربوة ومعهما كلبهما؟

– وما دخل الكلب في الموضوع؟

– لقد تساءلت للحظة هل أخذا الكلب أو هل تبعهما؟ وما دور الكلب في الموضوع؟ قالت السيدة "**أوليفر**":

– أظن أنه أتى على أجنحة.. إنه أمر آخر لا يستطيع المرء إيجاد إيضاح له ولا معنى.. لقد قالت لي إحدى الفيلة: "إن الكلب كان متفانيا لليدي "**رفنسكروفت**""، وقالت أخرى: "إن الكلب عض "**الليدي**"". قال "**بوارو**":

– إن المرء يعود دائما إلى الشيء نفسه.. إننا نحتاج إلى معرفة المزيد عنهما، لكن

كيف يحدث ذلك وبيننا هوة عدة أعوام؟ قالت السيدة "**أوليفر**" :

– لقد سبق أن تغلبت على صعاب مثل هذه في قضايا أخرى. وقال لها "**بوارو**" إنه يود أن يتعرف إلى "**سيليا رفنسكروفت**" والمرأة المتطفلة. ووعدته السيدة "**أوليفر**" بتدبير لقاء بينهم.

الفصل العاشر

جلس "**هركيول بوارو**" يقرأ خطابا وهو يتناول كاكاو الصباح. وأعاد قراءة الخطاب للمرة الثانية:

«عزيزي سيد "**بوارو**"،

سوف تجد خطابي غريبا قليلا ولكني أعتقد أنك لو تذكرت صديقة لك فسيقلل هذا من استغرابك، ولقد حاولت أن أتصل بها لأطلب منها أن ترتب لي ميعادا لمقابلتك، لكن يبدو أنها تركت منزلها، فقد ذكرت سكرتيرة السيدة "**أريدان أوليفر**" أنها ذهبت إلى "**إفريقيا الشرقية**" ولو كان الأمر كذلك فلن تعود قبل بعض الوقت.. ولكني متأكد من أنها كانت ستساعدني. إنني في الواقع أريد أن أراك لأني في أشد الحاجة إلى نصيحتك. ولقد عرفت أن السيدة "**أوليفر**" تعرف والدتي، وقد تعرفت إليها في حفل غداء أدبي، ويمكنني أن أقابلك في أي وقت يلائمك، ولا أعتقد إن كان هذا سيساعدك ولكن سكرتيرة السيدة "**أوليفر**" ذكرت كلمة "**الأفيال**"، ويبدو أن لذلك علاقة بسفر السيدة "**أوليفر**" إلى "**إفريقيا الشرقية**"، ولكن السكرتيرة تكلمت كما لو أن هذه الكلمة سر، وهي لا تعني شيئا بالنسبة إليّ، لكن ربما تعني الكثير بالنسبة إليك.. إني في أشد حالات القلق وسأكون ممتنًا جدا لو هيأت لي مقابلتك».

المخلص– "**ديسموند بورتون كوكس**"

قال "**بوارو**" بعد أن قرأ الخطاب:

– يا للشيطان! وترك غرفة الطعام وذهب إلى سكرتيرته الوفية الآنسة "**ليمون**" وأعطاها الخطاب وطلب منها أن تحدد له موعدا وترد على الخطاب. وقال:

– إني لست مشغولا جدا الآن، وسيكون الغد وقتا ملائما

*****

أعلن "جورج" وهو يُدخل الزائر:

– سيد "**ديسموند بورتون كوكس**". ونهض "**بوارو**" لاستقباله ونظر إليه، وسريعا ما كوّن رأيه في شخصيته.

– سيد "**بوارو**"؟

– نعم وأنت سيد "**ديسموند بورتون كوكس**". تفضل بالجلوس وأخبرني بما أستطيع أن أفعله من أجلك وأسباب مجيئك إليَّ.

– سيكون من الصعب شرح الأمر.

– لدينا كثير من الوقت.. تفضل بالجلوس. وسأله "**ديسموند**" ببعض الشك إن كان مخبرا يقصده الناس ليتحرى لهم عن أمور. قال "**بوارو**":

– نعم.. هذا هو أحد واجباتي في الحياة.

– لا أظن أنك تعرف لماذا جئت، أو حتى تعرف شيئا عني.

– إنني أعرف قليلا.

– أتعني أن تكون صديقتك السيدة "**أوليفر**" قد حدثتك عني؟

– لقد أخبرتني بأنها تحدثت مع ابنتها في العماد "**سيليا رفنسكروفت**".

– نعم، لقد أخبرتني "**سيليا**" بذلك، وهل تعرف السيدة "**أوليفر**" والدتي، أعني هل تعرفها جيدا؟

– كلا لا أعتقد أنها تعرفها جيدا وحسبما فهمت من السيدة "**أوليفر**" أنهما تقابلتا حديثا في مادبة غداء أدبي، وتبادلت معها حديثا قصيرا وأن والدتك طلبت منها طلبا معينا.

– لم يكن هذا من شأنها.. وبدا عليه الغضب في هذه اللحظة، وقال:

– إن الأمهات في الحقيقة.. أعني.. قال "**بوارو**":

– إني أفهم.. فهنا الآن وكان هناك دائما شعور بأن الأمهات يفعلن دائما أشياء

كان أولادهم يفضلون الا تبدر منهن.. هل أنا محق؟

– نعم أنت محق، ولكن أمي.. أعني أنها تتدخل في أمور ليست من شأنها إطلاقا.

– لقد عرفت أنك و "**سيليا رفنسكروفت**" صديقان حميمان، وعرفت السيدة "**أوليفر**" من والدتك أن هناك مشروع زواج بينكما في المستقبل القريب.

– نعم، لكن لا حاجة إلى أمي أن تسأل وتقلق لأسباب ليست من شأنها.

وابتسم "**بوارو**"، وقال:

– ولكن هذه طبيعة الأمهات.. ألست شديد التعلق بوالدتك؟

– كلا بالتأكيد، فإن.. حسنا، من الأفضل أن أخبرك.. إنها ليست أمي في الحقيقية.

– أحقا! لم أكن لأعرف ذلك. قال "**ديسموند**":

– لقد مات ولدها الحقيقي وهو طفل فأرادت أن تتبنى ولدا وكنت أنا ذلك الولد.. وأشهد أنها تبنتني كما لو كنت وليدها، كما أنها دائما تتحدث معي كابنها وتفكر فيّ كذلك ولكني لست ابنها حقا، ونحن لسنا متشابهين ولا ننظر إلى الأمور نظرة متشابهة.

– هذا أمر طبيعي.

– لا يبدو أنني طرقت ما جئت للتحدث فيه معك.

– هل تريد مني أن افعل شيئا معينا؟

– أظن أن هذا هو ما أريده.. أنا لا أعرف كم تعرف عن.. عن المشكل.

– إني أعرف القليل ولكني أجهل التفاصيل فأنا لا أعرف الكثير عنك أو عن الآنسة "**رفنسكروفت**" التي لم أقابلها بعد وإن كنت أحب أن أقابلها.

– فكرت في أن آتي بها للتحدث معك ولكني فضلت أن أتحدث معك أولا. قال "**بوارو**":

– إن هذا يبدو معقولا.. هل هناك شيء يقلقك؟ شيء يضايقك؟ هل لديك أية مصاعب؟

– كلا، ليست لدي أية مصاعب.. إن الذي حدث أمر وقع منذ عدة أعوام عندما كانت "**سيليا**" طفلة أو تلميذة صغيرة، كانت مأساة من الطراز الذي يحدث في أي وقت.. شخصان اضطربا وانتحرا ولم يعرف شيء عن الأسباب، لكن على أي حال، حدث ذلك ولا حاجة إلى أطفالهما لشغل بالهم بذلك، فهو ليس من شأنهم وهو ليس من شأن أمي بالمرة. قال "**بوارو**" :

– إن الإنسان كلما مرت عليه تجارب الحياة وجد الناس كثيرا ما يهتمون بأمور ليست من شأنهم أكثر مما يهتمون بشؤونهم الخاصة.

– ولكن هذا أمر انتهى ولم يعرف عنه أحد شيئا، بيد أن أمي تواصل إلقاء الأسئلة وتريد أن تعرف الأمور، وقد أثارت أعصاب "**سيليا**" إلى درجة أن "**سيليا**" لم تعد تعرف إن كانت تريد أن تتزوجني أم لا.

– وهل تعرف أنت إن كنت لا تزال تريد أن تتزوجها أم لا؟

– نعم.. إني أعرف بالتأكيد، أعني أني مصمم على الاقتران بها ولكنها مضطربة، وتريد أن تعرف لماذا حدث هذا وهي تعتقد وأنا متأكد من أنها مخطئة أن والدتي تعرف شيئا عن الموضوع، أو أنها على الأقل سمعت شيئا عنه. قال "**بوارو**" :

– إني متعاطف معك، لكن يبدو لي أنكما لو كنتما منطقيين وتريدان أن تتزوجا فإني لا أرى سببا يمنعكما من ذلك.. إن الإنسان لا يجد إيضاحات لكل الأحداث المحزنة التي تحدث. وشاركه الفتى هذا الرأي ولكنه أخبره بأن أمه أثارت قلق "**سيليا**"، وأنها لن تهدأ إلا إذا عرفت الحقيقة.

وقال إنه يحب "**سيليا**" كثيرا وإنه يعرفها منذ الصغر؛ إذ كان يقضي إجازاته عند أصدقاء جيران لها وإن والديه كانا في "**الملايو**" مثل والديها وإنه يظن أن والدته سمعت هناك إشاعات عن "**الجنرال**" وزوجته، وتذكرت هذا الآن، وجسمت الأمور وهي مصممة على إقلاق "**سيليا**". وهو لذلك مصمم وكذلك "**سيليا**" على معرفة حقيقة ما جرى. أجابه "**بوارو**" بأنه من الصعب أن يصل إلى الحقيقة بعد مرور وقت طويل، ولكن الفتى كان من رأيه أن هذا ممكن. قال "**بوارو**" :

– هذا أمر شائق لماذا تعتقد أنه سيكون ممكنا.

– لأني أعتقد أنه لابد من أن هناك أشخاصا يعرفون وبوسعهم أن يخبروك لو أرادوا، وربما لن يكون لديهم استعداد لإخباري أو إخبار "**سيليا**" .

– هذا معقول.

– لقد حدثت أمور في الماضي وأنا.. وأنا سمعت عنها بإبهام.. كانت هناك مشاكل عقلية وكان هناك شخص – لا أعرف بالضبط من هو لكن ربما كانت ليدي "**رفنسكروفت**" – أظن أنها أمضت سنوات طويلة في مصحة عقلية وقد حدثت فاجعة عندما كانت صغيرة، ومات طفل في حادث وكان أمرا يوحي بأن لها صلة به بطريقة أو أخرى.

– أفهم من ذلك أنه شيء لا تعرفه حقا؟

– إنه شيء قالته أمي، أمر سمعت به على ما أظن في "**الملايو**" – قيل وقال – وأنت تعرف كم يثرثرون في أوساط موظفي الحكومات المبعوثين للعمل في الخارج، فإن النساء على الخصوص يثرثرن بأمور تكون في الغالب كذبا.

– وهل تريد أن تعرف إن كانت حقيقة أو كذبا؟

– نعم، ولا أعرف كيف أكتشف ذلك بنفسي؛ ولذلك لجأت إليك. قال "**بوارو**" :

– إن ما تعنيه هو – وهذا ما استنتجته ومن الممكن أن أكون مخطئا – إن "**سيليا رفنسكروفت**" لا تريد أن تتزوجك ما لم تتأكد من أنها لم ترث مرضا عقليا من والدتها، أليس كذلك؟

– أعتقد أن هذا هو ما يدور في رأسها الآن، وأظن أن والدتي هي التي أوحت لها بذلك، بل وأعتقد أن هذا هو ما تريد أن تعتقده أمي، ولا أظن أن لديها أي سبب لذلك إلا غيرة لا محل لها إلى جانب القيل والقال. وسأله "**بوارو**" عمن يعتقد أنه يمكنه استجوابه، وقال له "**ديسموند**" إن هناك فتاتين كانتا في أوقات مختلفة تعملان كمربيتين لـ "**سيليا**" ويعتقد أن الفتاتين قد تفيدانه. قال "**ديسموند**" :

– إن إحداهما لا أعرف اسمها وكنا ندعوها "**ماري**" والأخرى اسمها "**زيلي**" ، وجاءت بعد "**ماري**" وأعتقد أنها إما من "**فرنسا**" أو من "**سويسرا**" ، وكانت

صغيرة وحلوة وظريفة، وكانتا و "**سيليا**" تلعبان الورق معا.

– والليدي "**رفنسكروفت**"؟

– كانت هي أيضا تحب "**زيلي**" كثيرا وكانت "**زيلي**" أيضا تبادلها الشعور نفسه، ولهذا السبب عادت بعد أن تركت الخدمة.

– عادت؟ !

– نعم، فعندما مرضت الليدي "**رفنسكروفت**" ودخلت المستشفى عادت "**زيلي**" ولازمتها واعتنت بها، وأنا لست متأكدا ولكنني أعتقد أنها كانت موجودة عندما حدثت الفاجعة، وهكذا يمكنك أن ترى أنها ربما تعرف ما حدث حقيقة.

– وهل تعرف عنوانها؟ أتعرف أين هي الآن؟

– نعم، إني أعرف عنوانها بل وأعرف عنوان الفتاة الأخرى، وقد فكرت في أنك ربما يكون بوسعك أن تذهب لرؤيتها وإني لأعرف أن ما أطلبه أكبر مما ينبغي...

ولم يكمل الحديث ونظر إليه "**بوارو**" بضع دقائق، ثم قال:

– نعم، إنه أمر محتمل.. إنها بالتأكيد تعرف.

الفصل الحادي عشر

نظر المفتش العام "**جرووي**" إلى "**بوارو**" عبر المائدة وقد ارتسمت على محياه ابتسامة وقدم إليه "**جورج**" الشراب والصودا ثم قدم إلى "**بوارو**" شرابا لونه قرمزي غامق، وقال "**جرووي**" ببعض الاهتمام:

– ماذا تشرب؟

– شربات من التوت الأحمر.

– حسنا، لكل منا ما يحبه.. إن "**سبنس**" أخبرني بأن من عادتك شرب شيء اسمه "**تيزان**"، فما هو؟

– إنه شراب مفيد في حالة الحمى.

– إنه إذن دواء. وشرب كوبه، وقال:

– حسنا، هذا نخب الانتحار. قال "**بوارو**":

– هل كان انتحارا؟

– وماذا يمكن أن يكون سوى ذلك؟ يا لغرابة الأشياء التي تريد معرفتها! وهز رأسه وازدادت ابتسامته اتساعا. قال "**بوارو**":

– إني آسف لأني ضايقتك فأنا مثل حيوان أو طفل في إحدى روايات "**كيبلنج**".. فإني مريض بفضول لا يشبع. وضحك "**جرووي**"، ثم قال:

– إن ما حيرني هو الطريقة التي كنت تنتقل بها فجأة من موضوع إلى آخر من أطباء نفسيين إلى تقارير أطباء، إلى الطريقة التي أُوصي بها بالثروة، ومن ورث ومن كان ثريا ومن كان يتوقع أن يرث مالا، ومن لم يحصل على مال، وأسئلة خاصة بباروكات السيدات ومن كان بائع الباروكات.. إلخ.. إلخ. قال "**بوارو**":

– لقد دهشت جدا عندما وجدت أنك تعرف كل هذا.

– إنها كانت قضية محيرة؛ ولذلك فإننا بالتأكيد تحرينا بدقة عن الموضوع ولم تفدنا كل هذه المعلومات ولكننا احتفظنا بالسجلات وهي موجودة لمن يريد الاطلاع عليها. ودفع له بقائمة تحوي اسم "**أوجين**" و "**روزونتال**" إخصائيي الباروكات الذين كانت تتعامل معهم الليدي "**رفنسكروفت**". و "**روزونتال**" تقيم في "**شلتنهام**" وقد افتتحت محل كوافير وتجميل. ثم مضى يلخص له معلوماته، فقال:

– السير "**أليستر رفنسكروفت**" من أصل اسكتلندي، وكان والده قسيسا وله عمان مشهوران في الجيش. وقد تزوج بـ"**مارجريت بريستون جري**"، وهي فتاة من أسرة عريقة قَدُمَتْ إلى البلاط ولم تعرف عنها أي فضائح، وكان لها أخت توأم –ولا أعرف من أين عرفت ذلك، والأخت الأخرى اسمها "**دوروتيا**" وكانتا معروفتين باسم "**دوللي**" و "**موللي**" وكانتا متشابهتين تماما وكانت عائلتهما تقيم في "**هترز جرين**" في "**سوسيكس**". وقد تشابهتا في كل شيء وأحبتا حتى الطراز نفسه من الرجال فقد تزوجتا في الوقت نفسه تقريبا من ضابطين في الجيش.. والطبيب الذي كان يرعاهما مات؛ ولذلك لم نستطع معرفة أكثر من ذلك، ولكن هناك مأساة أخرى سابقة لها علاقة بإحداهما.

– الليدي "**رفنسكروفت**"؟

– كلا، بل الأخرى التي تزوجت النقيب "**جارو**". وأنجبت طفلين كان أصغرهما ولدا في الرابعة ضرب على رأسه بلعبة أو بشيء آخر ووقع في بحيرة صناعية أو شيء مشابه وغرق.. ويبدو أن أخته الأكبر وهي طفلة كانت في التاسعة هي التي ضربته وكانا يلعبان معا مثلما يفعل الأطفال ويتشاجران، ولكن هناك رواية أخرى. فقد روى شخص ما أن الأم هي التي فقدت أعصابها وغضبت وضربته.. وقال شخص آخر إن الفاعل هو جارة لهم ولا أظن أن ذلك ذو أهمية لك؛ فليس له علاقة بالانتحار المتفق عليه بين أختها وزوجها بعد ذلك بعدة أعوام.

– لا، لا، يبدو أن هناك علاقة، لكن من الأهمية بمكان أن أكوّن فكرة عن تاريخ حياتهم. وقال له "**جرووي**" إنه قرأ جرائد روت هذا الحادث البعيد، وإن الأم ادّعت أنها رأت الحادث من النافذة وأنها رأت الفتاة تضرب الولد وتدفعه في البحيرة، لكن لم تصدق الشرطة روايتها لأنها كانت تتكلم بطريقة غير متزنة وأنها بعد ذلك أُدخلت مصحة عقلية.. وثبت بصفة قاطعة أنها مصابة بمرض عقلي وظلت فترة طويلة تحت رعاية إخصائي من مستشفى "**سانت أندرو**"، وفي النهاية أعلن شفاؤها وأفرج عنها بعد حوالي ثلاث سنوات، وأرسلت إلى منزلها لتعيش حياة طبيعية مع أسرتها. سأل "**بوارو**":

– وهل كانت طبيعية تماما في ذلك الوقت؟

– أعتقد أنها كانت دائما عصبية.

– أين كانت وقت الانتحار؟ هل كانت تقيم مع آل "**رفنسكروفت**"؟

– كلا، فقد ماتت قبل ذلك بحوالي ثلاثة أسابيع، وكانت تقيم معهما في "**أوفركليف**" عندما ماتت، ويبدو في ذلك مرة أخرى تشابه مصير التوائم.. فقد كانت تمشي وهي نائمة، ويبدو أنها كانت مصابة بتلك العادة منذ عدة سنوات، وحدث لها حادثان صغيران من جراء ذلك، وكانت تتناول أحيانا كثيرا من المهدئات وكان لذلك ردة فعله؛ لأن الاضطراب طبع بصماته على أعضائها. ولقد خرجت ذات ليلة من المنزل وهي نائمة، وبينما كانت تسير فوق الربوة وهي نائمة تعثرت ووقعت من فوقها وقتلت في الحال، ولم يعثروا عليها حتى اليوم التالي.. وقد أثر ذلك كثيرا في أختها الليدي "**رفنسكروفت**"، فقد كانتا متآلفتين بصورة

واضحة، واضطروا إلى إدخالها مستشفى لتعالج من أثر الصدمة.

– هل يمكن أن يكون هذا الحادث المفجع قد أدى إلى انتحار "**الجنرال**" وزوجته بعد ذلك؟

– لم يكن هناك أي ظن من هذا القبيل.

– هناك أمور غريبة تحدث بين التوائم كما تعرف، ومن الجائز أن الليدي "**رفنسكروفت**" قد انتحرت نتيجة للعلاقة التي بينها وبين أختها التوأم، ثم انتحر الزوج لأنه ربما أحس بشعور بالذنب بطريقة أو بأخرى. قال "**جرووي**":

– إنك غريب الأفكار يا "**بوارو**".. لا يمكن أن يكون "**أليستر رفنسكروفت**" على علاقة آثمة بأخت زوجته دون أن يعلم الجميع بهذه العلاقة ولم يكن هناك شيء من هذا النوع بينهما بالمرة.. لو كان هذا ما تتخيله. ودق جرس التليفون ونهض "**بوارو**" يرد عليه، وكانت السيدة "**أوليفر**" هي المتحدثة.

– سيد "**بوارو**"، هل تستطيع أن تأتي لتناول الشاي أو شراب الكرز غدا؟ إن "**سيليا**" ستأتي كما ستأتي فيما بعد تلك المرأة المسيطرة.. إن هذا هو ما كنت تريده، أليس كذلك؟ وأجابها "**بوارو**" بالإيجاب قائلا:

– سيدة "**أوليفر**"، يجب عليّ أن أهرع الآن فعليّ أن أقابل ضابطا متقاعدا ذكرته "**جوليا كارستيرز**"، فيلتي رقم 1، وأظن أنها حرّفت اسمه... وهو شيء تفعله دائما، لكنني آمل أن يكون العنوان مضبوطا.

الفصل الثاني عشر

قال "**بوارو**":

– حسنا يا سيدتي، كيف كان لقاؤك مع السير "**هوجو فوستر**"؟

– أولا لم يكن اسمه "**فوستر**" بل كان "**فودرجيل**". من شيم "**جوليا**" أنها تخطئ في الأسماء دائما.

– إذن فالأفيال ليسوا دائما مما يعتمد عليهم في تذكر الأسماء؟

– لا تتحدث عن الأفيال.. لقد تركت طريق الأفيال.

– وضابطك المتقاعد؟

– إنه ظريف، لكن لا فائدة ترجى منه كمنبع معلومات.. إنه دائب الفكر في عائلة تدعى "**برنت**" قتل لهم طفل في حادث في "**الملايو**" لا شأن له أبدا بآل "**رفنسكروفت**".. لقد قلت لك إني هجرت طريق الأفيال.

– سيدتي، لقد كنت مثابرة جدا ونبيلة جدا.

– ستأتي "**سيليا**" بعد حوالي نصف ساعة.. ألم تكن تريد مقابلتها؟ لقد أخبرتها بأنك تساعدني في هذا الموضوع.. أو هل كنت تفضل أن تأتي لمقابلتك رسميا؟

– كلا، إنني أفضل أن نتقابل بالطريقة التي نظّمتها أنت.

– لا أظن أنها ستبقى طويلا، وإذا أنهت زيارتها بعد ساعة فسيكون في الوقت متسع لنفكر ونراجع الموضوع قليلا قبل أن تأتي السيدة "**بورتون كوكس**".

– بلى، سيكون هذا أمرا شائقًا جدا. وتنهدت السيدة "**أوليفر**"، وقالت:

– يا للأسف! إن لدينا خامات زائدة عن الحاجة، أليس كذلك؟

– بلى، فنحن لا نعرف ما الذي نبحث عنه، وكل الذي نعرفه حتى الآن هو – على الأرجح – الانتحار المزدوج لزوجين كانا يعيشان معا في سعادة وسلام، وماذا لدينا عن الأسباب أو الدواعي؟ لقد بحثنا في كل اتجاه، لكن دون جدوى. قالت السيدة "**أوليفر**":

– مضبوط في كل اتجاه. ثم أضافت:

– ولكننا لم نذهب بعد إلى القطب الشمالي. قال "**بوارو**":

– ولا إلى القطب الجنوبي.

– وهكذا، فما الذي حصلنا عليه بالضبط؟ قال "**بوارو**":

– أشياء مختلفة، وقد أعددت قائمة معي هنا، هل تريدين قراءتها؟ وجلست السيدة "**أوليفر**" بجواره وأشارت إلى أول الأشياء المدونة: باروكات؟ لماذا وضعت الباروكات في أول القائمة؟

– إن استعمال أربع باروكات يبدو لغزا ومن الصعب حله، ثم هناك روايات عن اضطراب عقلي في العائلة، وعن أخت توأم كانت قواها العقلية مختلة، وأمضت

فترة كبيرة من حياتها في مصحة عقلية. قالت السيدة "**أوليفر**":

– لا يبدو أن هذا الخيط يؤدي إلى أي مكان إلا إذا كان بوسعها أن تأتي وتقتلهما، ولكني لا أرى سببا لذلك. قال "**بوارو**":

– كلا، إن البصمات التي على المسدس ثبت بالتأكيد أنها بصمات "**الجنرال**" وزوجته كما علمت، ثم هناك قصة عن طفل "**رفنسكروفت**"، لكن من المحتمل أن تكون القاتلة امرأة أخرى وربما تكون خادما أو مربية وطنية، والنقطة الثانية هي انك تعرفين أكثر مني عن الثروة. وقالت السيدة "**أوليفر**" بدهشة:

– وما دخل الثروة في الموضوع؟!

– لا مكان لها فعلا وهذا هو ما يثير الاهتمام، فإن المال في العادة له دخل وفي الغالب يرث شخص ما مالا نتيجة لذلك الانتحار أو يفقد شخص ما مالا، ولكن الصعب هنا على ما يبدو أنه لم يكن هناك ثروة، وهناك روايات مختلفة عن غراميات نجد فيها نساء فتن بهن الزوج أو رجالا فتنت بهم الزوجة، وأي نوع من هذه الغراميات كان من الممكن أن يؤدي إلى جريمة قتل. وهذا أمر يحدث كثيرا، ثم نأتي إلى الأمر الذي يشد اهتمامي في هذه اللحظة، ولذلك فأنا أتطلع إلى مقابلة السيدة "**بورتون كوكس**".

– هذه المرأة الفظيعة! لا أفهم لماذا تظن أنها مهمة.. إن كل ما فعلته هو أنها متطفلة وطلبت مني أن أبحث لها عن حقيقة الأمور.

– نعم، فنحن لا نعرف الصلة، وكل ما نعرفه هو أنها تريد أن تعرف باستماتة شيئا أكثر عن حادث الانتحار هذا، وهي التي أوصلتك إلى "**سيليا رفنسكروفت**" ابنتك بالعماد وبابنها هي وهو ليس ابنها؟

– ماذا تعني بقولك إنه ليس ابنها؟

– إنه متبنى.. تبنته لأن ابنها هي مات.

– وكيف مات ابنها؟! وأين ومتى؟!

– لقد سألت نفسي كل هذه الأسئلة.. إنها يمكن أن تكون وصلة.. إما عاطفة، رغبة في الانتقام من خلال الحقد أو من خلال علاقة غرامية. على أي حال، يجب أن أراها وأن أكوّن فكرة عنها.. نعم، إني أشعر بأن هذا أمر مهم جدا. ودق جرس

الباب وذهبت السيدة "**أوليفر**" لتفتحه وهي تقول:

– أعتقد أن هذه هي "**سيليا**" دون شك، هل انت متأكد من أنك موافق على هذا الترتيب؟

– ليس لديّ أي اعتراض وآمل الا يكون لديها هي أيضا. ورجعت السيدة "**أوليفر**" إلى الغرفة بعد قليل ومعها "**سيليا**" التي بدا عليها الشك، ودخلت وهي تقول:

– لا أعرف إن كنت.. وتوقفت وهي تحدق إلى "**بوارو**". قالت السيدة "**أوليفر**":

– أريد أن أعرفك إلى شخص يعاونني وآمل أن يعاونك أيضًا في معرفة ما تريدين معرفته.. هذا هو السيد "**هركيول بوارو**"، وهو خبير ممتاز في العثور على الأشياء. قالت "**سيليا**" ببعض الشك:

– أعتقد أنني سمعت عنه. سألها "**بوارو**" إن كان ما تريده هو الحقيقة أم الطمأنينة، وقال لها إنها ربما تندم لو عرفت الحقيقة؛ لأن الأمر يتعلق بأبويها اللذين كانت تحبهما. لكن "**سيليا**" أكدت له أن بوسعها أن تواجه الحقيقة مهما كانت، ولكنها لا تستطيع مواصلة الحياة ونظرات الشفقة تلاحقها من كل من سمع بالقصة. وقالت:

– إنك رأيت "**ديسموند**"، أليس كذلك؟ لقد أخبرني بأنه قابلك.

– بلى، لقد جاء لمقابلتي فهل كنت تريدين أن يفعل ذلك؟

– لم يسألني.

– ولو كان قد سألك؟

– لا أعرف إن كنت سأمنعه من ذلك أم أشجعه عليه.

– إني أريد أن أوجه إليك سؤالا واحدا يا آنستي.. إني أريد أن أعرف إن كان هناك شيء واحد واضح في ذهنك يهمك، ويمكن أن يهمك أكثر من أي شيء آخر.

– حسنا وما هو؟

– إن "**ديسموند**" كما قلت جاء لمقابلتي وهو شاب جذاب ولطيف ومهتم جدا

بما جاء من أجله، والآن فإن المهم إذا كنت أنت وهو تريدان الزواج حقا، فما المانع؟ الزواج أمر جاد وهو رباط في الحياة، لكن يا ترى هل لديكما رغبة حقيقية في الارتباط؟ هذا مهم، وما الفارق بالنسبة إليكما إن كان الموت بسبب انتحار مزدوج أو بسبب شيء آخر؟

– هل تعتقد أنه أمر مختلف تماما؟

– لا أعرف بعد، لكن لدي أسباب لاعتقاد ذلك، وهناك أشياء معينة لا تتفق مع انتحار مزدوج، ولكن على قدر رأي الشرطة، والشرطة في معظم الأحيان يمكن الاعتماد على رأيها جدا يا آنسة "**سيليا**"، نجد أن الذين جمعوا كل الأدلة يعتقدون أنه لا يمكن أن يكون سوى انتحار مزدوج.

– لكن ما تعنيه هو أنهم لم يعرفوا السبب، أليس كذلك؟

– بلى، هذا هو ما أعنيه. قالت "**سيليا**":

– ألم تعرف أنت السبب؟ أعني من خلال تحرياتك أو تفكيرك؟ قال "**بوارو**":

– كلا، أنا لست متأكدا وأعتقد أنه ربما كان هناك سبب مؤلم، لو عرفناه فهل ستكون لديك الحكمة لتقولي: "إن الماضي انتهى وها هو شاب أحبه ويحبني، والمستقبل أمامنا سنمضيه معا ولا شأن لنا بالمال؟" قالت "**سيليا**":

– هل أخبرك بأنه متبنًّى؟

– نعم.

– ألا ترى إذن أنه ليس من شأنها؟ لماذا تُقْلِق السيدة "**أوليفر**" وتحاول أن تدفعها إلى أن تستجوبني؟ إنها ليست أمه.

– هل يحبها؟

– كلا، أعتقد أنه لا يستلطفها عموما وكان هذا شعوره دائما.

– لقد أنفقتْ عليه مالها فعلّمته وكسته.. إلخ، فهل تعتقدين أنها تحبه؟

– لا أعرف، ولا أعتقد ذلك، وأظن أنها أرادت طفلا يحل محل طفلها الذي مات في حادث؛ ولذلك أرادت أن تتبنى طفلا، وكان زوجها قد توفي حديثا.. إن كل ما في الماضي محير.

– إني أعرف، إني أعرف ولكني أود أن أعرف شيئا واحدا.

– عنه أو عنها؟

– هل مستقبله مضمون ماليا؟

– لا أعرف بالضبط ما تعنيه بذلك سيكون بوسعه أن يصرف عليّ.. أن يصرف على زوجة، وفهمت أن لديه بعض المال كُتب باسمه عندما تبنوه. وهو مبلغ معقول ولا أعني بذلك أنه ثروة أو أي شيء من هذا القبيل.

– ألا يوجد شيء يمكن أن تمنعه منه؟

– أتعني أن بوسعها أن تقطع عنه المال لو تزوجني؟ لا أعتقد أنها هددت بذلك قط أو أن بوسعها أن تفعل ذلك، وأظن أن الأمر كله سُوِّي بمعرفة هؤلاء الذين يتولون ترتيب أمور التبني، فعلى ما أسمع أن الجمعيات التي تتولى أمور التبني تدقق كثيرا في هذه الأمور. وسألها "**بوارو**" إن كانت تعرف مَنْ أم "**ديسموند**" الحقيقية، وأجابته أنها لا تعرف وهو على الأرجح أنه طفل غير شرعي وربما تعرف السيدة "**بورتون كوكس**" مَنْ أمه ولكنها لم تخبره. سألها "**بوارو**" :

– هل تعرفين ما إذا كانت السيدة "**بورتون كوكس**" صديقة لعائلتك أو لوالدتك؟ وهل قابلتها في بيتك أيام الطفولة على قدر علمك؟ قالت له "**سيليا**" إنها لا تعتقد ذلك وإنها تظن أن السيدة "**بورتون كوكس**" كانت في "**الملايو**" ومات زوجها هناك. وأن "**ديسموند**" كان في المدرسة في "**إنجلترا**" وكان يقضي إجازته عند بعض الأقارب أو الأشخاص ممن يقبلون استضافة التلاميذ في أثناء الإجازات وأنها كانت تعجب به جدا لأنه كان يجيد تسلق الأشجار وقد تحابا عندما التقيا ثانية في الجامعة، ثم قالت :

– كيف يستطيع الإنسان أن ينظم حياته لو كان لا يعرف كل الأشياء التي حدثت حقيقة على الرغم من أن لها علاقة به؟

– وهكذا فأنت تقولين لي أن أمضي قدما في تحرياتي؟

– نعم لو كان سينتج عنها أية نتيجة ولو أني أشك في ذلك، لأني و"**ديسموند**" حاولنا أن نبحث ولم نجد شيئا؛ لأنها في الواقع ليست قصة حياة بل قصة موت، أليس كذلك؟ قصة ميتين. واستطردت وكأنها تنظر إلى شيء بعيد :

- لست أذكر إذا كان "**شكسبير**" هو الذي قال: "ولم يفرقهما الموت". نعم، امض قدما وأخبر السيدة "**أوليفر**" أو أخبرني أنا رأسا، وأنا أفضل لو كنت تخبرني رأسا. واستدارت نحو السيدة "**أوليفر**"، وقالت:

- لست أريد أن أكون جحودة يا إشبينتي، وقد كنت دائما لطيفة جدا معي ولكنني أريد أن أعرف الحقيقة من فم الأسد، وأخشى أن يعتبر ذلك التعبير وقاحة مني يا سيد "**بوارو**" ولكنني لا اعنيها بذلك المعنى.

- إني قانع بأن أكون فم الأسد.

- وهل تعتقد أنك ستكون كذلك؟

- أنا أعتقد دائما أني قادر على ذلك.

- وهل يصدق اعتقادك دائما؟ قال "**بوارو**":

- إنه يصدق عادة.. ولن أقول أكثر من ذلك.

الفصل الثالث عشر

قالت السيدة "**أوليفر**" بعد أن أوصلت "**سيليا**" إلى الباب:

- حسنا، ما رأيك فيها؟ قال "**بوارو**":

- إنها فتاة لديها بالتأكيد شخصية متميزة عن باقي الفتيات.

- نعم، هذا صحيح. وطلب منها "**بوارو**" أن تحدثه عن والدة "**سيليا**". فأخبرته السيدة "**أوليفر**" بانها كانت زميلتها في مدرسة خاصة في "**باريس**" لتصقيل الفتيات قبل أن يقدمن إلى المجتمع وكانت "**موللي**" أو "**مرجريت**" تشاركها الميول نفسها. فكانتا تحبان التنس والأوبرا وتمقتان معارض الرسم.

- كلميني أكثر عن "**موللي بريستون جري**".. هل تذكرك هذه الفتاة بها؟

- كلا، لا أعتقد ذلك.. إنهما مختلفتان وأظن أن "**موللي**" كانت عاطفية أكثر من أي فتاة.

- علمت أنه كانت لديها أخت توأم، فهل كانت أيضا في المدرسة نفسها؟

– كلا وكان من الممكن أن تكون موجودة؛ لأنهما كانتا في السن نفسها إلا أن الأخت الثانية كانت في مدرسة أخرى في "**إنجلترا**" على ما أظن، ولكنني لست متأكدة، وإني أشعر بأن التوأم "**دوللي**"، التي قابلتها مرة أو مرتين والتي كانت تشبه "**موللي**" بالضبط لم تكن طبيعية تماما حتى في ذلك الوقت. وكانت "**موللي**" تحب أختها جدا ولكنها لم تكن لتتحدث عنها كثيرا. وإني أتذكر أني سمعت مرة أو مرتين أن "**دوللي**" مريضة أو أنها ذهبت إلى مكان ما للعلاج، وإني أتذكر أنه خطر لي مرة أنها ربما تكون كسيحة، وقد أخذتها عمتها ذات مرة في رحلة بحرية من أجل تحسين صحتها وكان شعوري الخاص هو أن "**موللي**" تحبها ومتفانية لها، وتود أن تحميها بطريقة أو بأخرى.. هل يبدو لك هذا سخفا؟

– كلا بالمرة.

– وكانت هناك أوقات لا تحب أن تتحدث فيها عن "**دوللي**". وإنما كانت تتحدث عن أبويها فقد كانت تحبهما، وقد جاءت والدتها مرة إلى "**باريس**" وخرجتُ معها وهي امرأة لطيفة لم تكن جميلة جدا ولكنها كانت لطيفة وهادئة وطيبة. ودق جرس الباب وتبادلا النظر، وقالت السيدة "**أوليفر**":

– ها هي قد أتت. وبعد قليل عادت وأدخلت السيدة "**بورتون كوكس**" الغرفة. قالت السيدة "**بورتون كوكس**":

– إن شقتك رائعة.. كم كان جميلا منك أن تفسحي لي وقتا من وقتك الغالي وأن تتفضلي بدعوتي لرؤيتك. وألقت نظرة جانبية على "**بوارو**" وظهرت عليها الدهشة ثم نقلت نظرتها إلى البيان الكبير الموجود بجوار النافذة وخطر للسيدة "**أوليفر**" أن السيدة "**بورتون كوكس**" تعتقد أن "**هركيول بوارو**" ممن يصلحون البيان وأسرعت لتبدد هذا الرأي، وقالت:

– أريد أن أعرفك إلى السيد "**هركيول بوارو**". وتقدم "**بوارو**" وانحنى يقبل يدها. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أعتقد أنه الشخص الوحيد الذي قد يستطيع أن يساعدك في الموضوع الذي حدثتني عنه بخصوص "**سيليا رفنسكروفت**".

– كم هو لطيف منك أن تتذكري.. إني آمل أنك ستستطيعين إعطائي بعض

المعلومات عما حدث حقيقة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– أخشى ألا أكون قد وُفِّقت، ولذلك طلبت من السيد "**بوارو**" مقابلتك.. إنه رائع في الحصول على المعلومات وهو أبرز أهل مهنته، ولا أستطيع أن أقول لك كم ساعد من أصدقاء، وكم حل من ألغاز. وأشارت السيدة "**أوليفر**" إلى زائرتها بالجلوس، ثم قالت:

– ماذا تفضلين؟ كأسا من عصير الكرز؟ إن الوقت بالتأكيد متأخر بالنسبة إلى الشاي، أو هل تفضلين الكوكتيل؟

– أفضل كأسا من عصير الكرز.. إنك في غاية الكرم.

– سيد "**بوارو**"؟ قال "**بوارو**":

– وأنا أيضا. وارتاحت السيدة "**أوليفر**" لأنه لم يطلب أحد مشروباته المفضلة وأعدت الكؤوس، ثم قالت:

– لقد شرحت للسيد "**بوارو**" خطوط التحري الذي تريدينه. وبدا على السيدة "**بورتون كوكس**" التردد على خلاف طبيعتها، وقالت لـ "بوارو":

– إن شباب اليوم متعبون، وابني فتى لطيف وأملنا له عظيم في مستقبل باهر، والفتاة لطيفة، وهي ابنة السيدة "**أوليفر**" بالعماد، والمرء لا يعرف مصير هذه الصداقات والحب السريع الناضج، ومن الأهمية بمكان أن يعرف المرء شيئا عن تاريخ أسرة الفتاة. وأنا أعرف بالتأكيد أن "**سيليا**" من عائلة عريقة، لكن حدثت فاجعة، وأعتقد أنه كان انتحارا مزدوجا، لكن لم يوضح لي أحد الدافع الذي أدى إليه وليس لي أصدقاء على علاقة بآل "**رفنسكروفت**"؛ ولذلك فمن الصعب عليّ تكوين أفكار، وأنا أعرف أن "**سيليا**" فتاة ساحرة ولكني بفضولي أود أن أعرف أكثر من هذا.

– فهمت من صديقتي السيدة "**أوليفر**" أنك تريدين معرفة ما إذا كان والد "**سيليا**" هو الذي قتل والدتها ثم انتحر أم أن والدتها هي التي قتلت والدها ثم انتحرت. قالت السيدة "**بورتون كوكس**":

– إني أشعر بأن هناك فارقا، نعم، نعم أشعر بالتأكيد بأن هناك فارقا بين الحالتين.

– هذه وجهة نظر شائقة. ولم تكن نبراته مشجعة.

– إن الذي أعنيه هو المؤخرة العاطفية التي أدت إلى كل هذا، ويجب على المرء أن يفكر في الأطفال في حالة الزواج وأعني بذلك أطفال المستقبل.. أعني الوراثة، وأعتقد أننا ندرك الآن أن الوراثة أهم من البيئة وأنها تكوّن الشخصية بطريقة معينة وتؤدي إلى مخاطر خطيرة وأكيدة قد لا يريد المرء أن يتعرض لها. قال "**بوارو**":

– هذا حقيقي.. وأود أن أقول لك إن الذين سيتعرضون للمخاطرة هم فقط الذين عليهم أن يتخذوا القرار، وسيكون القرار هو قرار ابنك والسيدة الشابة.

– نعم إني أعرف، إنه ليس قراري فإن الوالدين ليس مسموحا لهما بالاختيار أو حتى بإعطاء أية نصيحة، ولكني أود أن أعرف شيئا عن الموضوع، ولو كنت تشعر بأن بوسعك أن تقوم بأي تحريات.. أظن أن هذه الكلمة المستعملة، لكن ربما.. ربما تظن أنني أتصرف كأم متهورة قلقة أكثر من اللازم من أجل ابنها.. إن هذا من شيم الأمهات. وأطلقت ضحكة صغيرة ومالت برأسها قليلا، وقالت وهي ترتشف كأسا من الكرز:

– ربما ستفكر في الأمر وتبلغني برأيك فيه كما سأبلغك أيضا برأيي وربما بالنقض والأمور المحددة التي تقلقني. ونظرت إلى ساعتها، وقالت:

– يا للأسف! إنني تأخرت على موعد آخر ويجب أن أنصرف بسرعة.. إني آسفة جدا يا عزيزتي السيدة "**أوليفر**"؛ لأنني مضطرة إلى الانصراف بهذه السرعة، ولكنك تعرفين كم من الصعب العثور على سيارة أجرة وقد صادفتني مصاعب كثيرة اليوم، فقد مرت بي السيارة تلو السيارة دون أن يعيرني السائق أي انتباه.. أعتقد أن عنوانك لدى السيدة "**أوليفر**"، أليس كذلك؟ وقال "**بوارو**":

– سأعطيك عنواني. وناولها إحدى بطاقاته.

– نعم.. نعم.. إني أرى.. سيد "**هركيول بوارو**".. هل أنت فرنسي؟

– أنا بلجيكي. وصافحتهما في عجلة وانطلقت بسرعة من المنزل. قالت السيدة "**أوليفر**":

– ما رأيك في هذا؟ إنها هربت.. إنها هربت.. لقد أخفتها بطريقة ما. قال "**بوارو**":

– نعم، أعتقد أنك على حق.

– كانت تريد أن أعرف أشياء من "**سيليا**"، وأن أستخرج منها معلومات أو سرا تشك في وجوده، ولكنها لا تريد تحريات مضبوطة، أليس كذلك؟ قال "**بوارو**":

– أعتقد ذلك.. إن هذا أمر شائق، شائق جدا.. هل تظنين أنها ميسورة؟

– أعتقد ذلك فإن ملابسها غالية وهي تقيم في منطقة راقية كما أنها امرأة مسيطرة، وعضوة في عدة لجان، وأعني أنه لا يوجد شيء مريب بخصوصها وقد سألت بعض الناس عنها، وهي ليست محبوبة جدا، ولكنها امرأة ذات نشاط عام ولها دور في السياسة.

– إذن ما الذي تحاول أن تخفيه؟ إني أعتقد أن هناك أمرا تحاول أن تخفيه.

– وهل ستحاول كشفه؟

– بالتأكيد لو استطعت، وقد لا يكون هذا سهلا، فإنها تتقهقر الآن وقد كانت ترتعد عندما تركتنا.. كانت خائفة من الأسئلة التي كنت سألقيها عليها، نعم، إنه أمر شائق جدا. وتنهد ثم تابع:

– سأضطر إلى الرجوع إلى الماضي أكثر مما كنت أعتقد.

– حسنا، لا مفر إذن من ذلك، والآن ماذا علينا أن نفعل.. أين قائمتك؟ وقال لها "**بوارو**" إن هناك موضوع الباروكات، ثم إنه حصل بوساطة الشرطة على عنوان الطبيب المعالج للسيدة أم الطفل الذي مات غرقا بعد أن دفع في الماء، وإنه سيذهب لمقابلة ابن هذا الطبيب وهو أيضا طبيب متخصص في الأمراض العقلية، وإن معه خطاب توصية له، كما إنه سيبحث أيضا الناحية المالية في الموضوع. قالت السيدة "**أوليفر**":

– لا تطلب مني أن أقوم بذلك فليست لديّ مؤهلات لهذا العمل، وأظن أن هذا ظهر في خلال أحاديثي مع الأفيال.

– أعتقد أن أفضل شيء لك هو أن تتولي موضوع الباروكات. وأخبرها بأنه حصل على العنوان الحالي لإحدى الشريكات في المحل الذي كان يمد الليدي "**رفنسكروفت**" بالباروكات، وأنه من الأفضل أن تتولى سيدة هذه المهمة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– آه، أتعني أنا؟

– نعم أنت.

– حسنا، وماذا تريدني أن أفعل؟ وطلب منها التوجه إلى "**شيلتنهام**" ومقابلة السيدة "**روزونتال**" وسؤالها عن الأمر. قالت السيدة "**أوليفر**" :

– يا للأعمال التي تطلبها مني! هل تعتقد أنهم سيتذكرون أي شيء عن الموضوع؟

– إن الأفيال تتذكر.

– ومن ستستجوب أنت؟ أهو هذا الطبيب الذي تحدثت عنه؟

– إنه أحد الذين سأستجوبهم؟

– وماذا تظن أن سيتذكر؟

– ليس كثيرا، لكن يبدو لي أنه ربما يكون قد سمع عن حادث معين، فلابد من أنها كانت حادثة مهمة ولابد من أنه يوجد سجلات لهذه الحالة.

– أتعني سجلات للأخت التوأم؟

– أجل.. لقد سمعت عن حادثتين متعلقتين بها: إحداهما عندما كانت أمًّا شابة تعيش في الريف في "**هترزجرين**" والأخرى فيما بعد، عندما كانت في "**الملايو**"، وفي كل مرة نتج من الحادث موت طفل.. وربما يكون بوسعي أن أعرف شيئا عن...

– أتعني أنه بما أنهن كن توامين فإن "**موللي**" صديقتي قد تكون أيضا مصابة باضطراب عقلي؟ أنا لا أصدق هذا بتاتا، فإنها لم تكن من هذا النوع، لقد كانت تحب الناس ويحبونها وكانت جميلة جدا.. لقد كانت سيدة لطيفة جدا.

– نعم، يبدو أنها كانت كذلك.. وهل كانت في رأيك سيدة سعيدة عموما؟

– نعم، كانت سيدة سعيدة، سعيدة جدا. إني اعترف بأني لم أرها كثيرا في الفترة الأخيرة من حياتها؛ لأنها كانت تعيش في الخارج، لكن كان يبدو لي في المرات القليلة التي كنت أراها فيها أو عندما كنت أتلقى رسائل منها أنها كانت سعيدة.

– الم تكن لك معرفة بالأخت التوأم؟

– كلا، وأعتقد بصراحة أنها كانت في مصحة في المرات القليلة التي رأيت فيها "**موللي**" . ولم تكن حتى وصيفة شرف في زفاف "**موللي**" ولم تحضر الزفاف.

– هذا في حد ذاته أمر غريب.

– لا أزال لا أرى ما ستعثر عليه في هذا الأمر. قال "**بوارو**" :

– سأحصل فقط على معلومات.

الفصل الرابع عشر

نزل "**بوارو**" من سيارة الأجرة وتأكد من صحة العنوان ثم دفع الحساب وأخرج من جيبه بعناية توصية للدكتور "**ويلوبي**" . ودق جرس الباب. ودخل "**بوارو**" مكتب دكتور "**ويلوبي**" الذي نهض لاستقباله. وكان الطبيب رجلا نحيفا، بين الخمسين والستين، فرحّب به وقال له إن المفتش العام "**جرووي**" وصديق من الداخلية اتصلا به وطلبا منه أن يعاونه، ثم سأله عما يريد أن يعرفه. قال "**بوارو**" :

– إني أعرف أن ما أطلبه هو خدمة خطيرة، لكن لديّ أسباب تجعلها أمرا ذا أهمية.

– أهمية بعد مرور كل هذه الأعوام؟

– نعم، وبالتأكيد إن كنت قد نسيت هذه الأحداث المعينة فسأفهم هذا.

– لا أستطيع أن أدّعي ذلك، فأنا مهتم – كما قد تكون قد سمعت – ببعض الفروع الخاصة بمهنتي منذ عدة سنوات.

– إني أعرف أن والدك كان إخصائيا مشهورا في هذه الفروع.

– نعم، لقد كان كذلك وكانت موضع اهتمامه في حياته وكانت لديه عدة نظريات أثبت بعضها بنجاح وبعضها خيب أمله.. أظن أن الموضوع الذي يهمك هو حالة عقلية، أليس كذلك؟

– إنها حالة امرأة كان اسمها "**دوروتيا بريستون جري**" .

– كنت شابا في ذلك الوقت، وكنت منذ هذا الوقت أهتم بنظريات أبي ولو أني أتفق معه فيها كلها، وكان عمله شائقًا وكنت سعيدا جدا بالعمل الذي كنت أتعاون فيه معه، وأنا لا أعرف ما سر اهتمامك الخاص بـ "**دوروتيا بريستون جري**" التي أصبحت فيما بعد السيدة "**جارو**". قال "**بوارو**" :

– كانت كما علمت إحدى توأمين.

– نعم، وقد كان هذا الموضوع في ذلك الوقت موضع بحث خاص لوالدي، وكان لدينا مشروع في ذلك الوقت بتتبع حياة توائم معينين ممن يكونون قد تربوا في البيئة نفسها، وكذلك من رُبوا في بيئات مختلفة لنرى إلى أي حد ظلوا متشابهين وما هي الأمور الشبيهة التي حدثت لهم.. توأمتان أو توأمان لم يمضيا أي جزء من الحياة معا، ومع ذلك تحدث لهما الأشياء نفسها بطريقة عجيبة، لقد كان الأمر كله شائقًا جدا ولكني لا أظن أن هذا هو ما تهتم به. قال "**بوارو**" :

– كلا، إن ما يهمني هو حادثة وقعت لطفل.

. – نعم، لقد حدث ذلك في "**سوري**" على ما أظن.. نعم.. إنها منطقة سكنية لطيفة ولا تبعد كثيرا عن "**كمبرلي**". كانت السيدة "**جارو**" في ذلك الوقت أرملة شابة، وكان لديها طفلان وقد مات زوجها في حادث قبل ذلك بأيام قلائل، وكانت قد أصيبت بصدمة شديدة ولم تكن لتفيق منها بطريقة ترضي طبيبها المعالج ولم يكن راضيا تماما عن نقاهتها، ويبدو أنها لم تتغلب على حزنها كما كان يريد، وعلى أية حال فقد طلب استشارة، وطلب من أبي أن يأتي لرؤيتها معه، ووجد أبي ان حالتها جديرة بالاهتمام، كما وجد في الوقت نفسه أن هناك مخاطر محققة، وكان من رأيه وضعها تحت الرقابة في مصحة تتوافر بها عناية جيدة، وكما قلت كان لديها طفلان، وحسب رواياتها فإن البنت الأكبر هاجمت الولد الذي كان أصغر منها بحوالي خمس سنوات، وضربته بجاروف حديقة فوقع على أثر ذلك في فسقية وغرق.. إن مثل هذه الأمور تحدث كثيرا كما تعرف بين الأطفال نتيجة للغيرة فإن الطفل يفكر بطريقة غريبة، كان يظن أن متاعب أمه ستقل إذا هو تخلص من أخيه أو أخته، وهكذا فإن أخت الطفل المعني قالت في نفسها :

"سيكون الأمر الطف كثيرا بالنسبة إليّ". وكل هذا نتيجة للغيرة، لكن في هذه الحالة لم يبد أن البنت تغار من أخيها أو أنها تضايقت من مولده، ومن ناحية أخرى فإن السيدة "**جارو**" لم تكن لتريد هذا الطفل الثاني، مع أن زوجها فرح به كثيرا، وقد حاولت أن تتخلص منه عن طريق الإجهاض ولكن الطبيبين اللذين لجأت إليهما رفضا، وقالت إحدى الخدم، وصبي كان يحمل برقية للمنزل إن التي هاجمت الولد كانت امرأة، بل إن الخادمة قالت بالتحديد إنها كانت السيدة "**جارو**"، وإنها رأتها من نافذة، وقالت الخادمة لا أعتقد أن المسكينة تعرف ما تفعله في هذه الأيام فمنذ أن مات السيد وهي في حالة غريبة. لقد صدر قرار المحقق بأنه حادث مؤسف وقع في أثناء لعب الأطفال. وترك الأمر عند هذا الحد، لكن عندما استُشير والدي وبعد حديث له مع السيدة "**جارو**" وجه إليها فيه بعض الأسئلة، كما أجرى لها عدة اختبارات أكد أنها المسؤولة عما حدث. وكان من رأيه أنه يجب أن تعالج عقليا.

– لكن هل كان والدك متأكدا تماما من أنها كانت المسؤولة؟

– لقد أكد له الطبيب ذلك، وقال إنه كانت هناك مدرسة تنادي بأنه من الخير للمرضى عقليا بعد فترة علاج كافية أن يعودوا للإقامة مع أسرهم تحت الملاحظة من أقاربهم، وكان والدي من انصار هذه المدرسة، وقد صادفت هذه النظرية نجاحا في بعض الحالات، لكن في حالات أخرى حدثت انتكاسات ترتبت عليها مآس وقُتل بسببها أبرياء، وفي حالة "**دوروتيا**" كان من رأي الطبيب أنها مريضة وخطرة، ويجب أن تفرض عليها رقابة طبية صارمة، ولكن أباه اختلف معه في الرأي، ورأى بعد أن أمضت عدة أعوام تعالج في المصحة أنها شفيت، ويمكنها أن تحيا حياة طبيعية وتحت رعاية ممرضة قديرة ألحقت بمنزلها بصفتها وصيفة لها، وبعد ذلك بقليل سافرت إلى "**الملايو**" وذهبت للإقامة عند أختها التوأم حيث حدثت المأساة الثانية وقتل طفل آخر من أبناء الجيران، واتهمت مربيته الخصوصية، لكن الشك اتجه إلى "**دوروتيا**"، لكن لم يكن هناك إثبات محدد، وأعتقد أن الجنرال "**رفنسكروفت**" وافق على ترتيب عودتها إلى "**إنجلترا**" لتوضع مرة ثانية تحت

الرقابة الطبية. وسأل "**بوارو**" إن كان هذا ما يريد أن يعرفه، فرد عليه "**بوارو**" قائلا:

– نعم، هذا ما سمعته قبل ذلك، ولكني لم أعتمد على ما سمعته وأردت أن أتأكد. إن الذي أريد أن أعرفه الآن هو حالة الأخت التوأم الأخرى الليدي "**رفنسكروفت**"، هل كان من المحتمل أن تصاب بالمرض نفسه؟

– لم تكن هناك قط أية حالة مرضية وكانت طبيعية تماما، وكان أبي يهتم بهذا الموضوع، وزارها مرة أو مرتين وتحدث معها؛ لأنه كثيرا ما صادف حالات من المرض المطابق سواء أكان عقليا أم عضويا تحدث للتوائم الذين بدؤوا حياتهم وهم مخلصون لبعضهم البعض، وفي بعض الحالات تنمو عداوة بين التوأم عقب حب قوي بينهما، ويمكن أن تتطور إلى كره لو حدث أي ضغط أو أزمة عاطفية تسبب عداوة بين الأختين، وأعتقد أن هذا حدث في هذه الحالة، فإن "**الجنرال**" عندما كان ضابطا شابا وقع في غرام "**دوروتيا**" التي كانت في الواقع أجمل الأختين ولم تعلن خطبتهما رسميا، لكن بعد قليل تحول إلى حب "**مرجريت**" وطلب يدها وكانت تحبه، وسرعان ما تزوجا بمجرد أن سمح له رؤساؤه بذلك، وكان أبي على يقين بأن "**دوروتيا**" أو "**دوللي**" شعرت بغيرة شديدة لزواج أختها. وبأنها ظلت تحب "**رفنسكروفت**" وناقمة لزواجه، ولكنها تغلبت على هذا وتزوجت ضابطا آخر، وكان زواجهما سعيدا، وفيما بعد كانت تذهب كثيرا لزيارة "**رفنسكروفت**" وأختها ليس فقط في "**الملايو**"، لكن في بلاد أخرى كان يعمل بها "**الجنرال**"، ثم عندما استقرا في "**إنجلترا**".. كانت تبدو أنها شفيت تماما ولم تعد تصاب بالاكتئاب، وكانت تعيش مع ممرضة يعتمد عليها ومع خدمها، وأعتقد كما قال لي أبي إن الليدي "**رفنسكروفت**" كانت دائما وظلت تحب أختها ومتفانية لها، وكانت تشعر بأنها تريد حمايتها وكانت دائما تريد رؤيتها، ولكني أعتقد أن "**الجنرال**" لم يكن متحمسا لوجودها مثل زوجته، وأعتقد أنه من المحتمل أن "**دوللي**" وهي لم تكن موزونة جيدا ظلت تشعر بعاطفة قوية تجاهه، وأعتقد أن هذا كان يسبب له الحرج، غير أني متأكد من أن زوجته كانت مقتنعة تماما بأن

أختها تغلبت على أي شعور بالغيرة أو الغضب. قال "**بوارو**":

– علمت أن السيدة "**جارو**" كانت تنزل عند آل "**رفنسكروفت**" قبل حدوث مأساة انتحارهما بحوالي ثلاثة أسابيع.

– نعم، هذا صحيح وقد حدثت ميتتها المفجعة آنئذ.. لقد كانت كثيرا ما تمشي وهي نائمة وقد خرجت في ليلة ما ومشت وهي نائمة، ووقعت من فوق جزء من الربوة وصلت إليه من طريق صغير غير مستعمل ووجدت جثتها في الصباح التالي. وأعتقد أنها ماتت في المستشفى دون أن تسترد وعيها، وحزنت عليها "**موللي**" كثيرا واضطربت، ولكنني أود أن أقول إنني لا أعتقد أن لهذه الحادثة أي تأثير في الانتحار الذي تلاها لهذين الزوجين اللذين كانا يعيشان معا في سعادة.. إن الحزن على أخت أو على أخت زوجة من الصعب أن يؤدي بالإنسان إلى الانتحار، وبالتأكيد لا يدفع إلى انتحار مزدوج. قال "**بوارو**":

– إلا إذا كانت "**مرجريت**" هي المسؤولة عن موت أختها.

– يا للسماء! إنك لا تقترح أن...

– إن "**مرجريت**" هي التي تتبعت أختها عندما مشت وهي نائمة، وإن يد "**مرجريت**" هي التي امتدت ودفعت بـ "**دوروتيا**" من فوق الربوة؟ قال الدكتور "**ويلوبي**":

– إني أرفض تماما أن أتقبل فكرة مثل هذه. قال "**بوارو**":

– لا يعرف المرء أبدا حقيقة الناس.

الفصل الخامس عشر

نظرت السيدة "**أوليفر**" حولها في "**شيلتنهام**" برضاء، ولم تكن قد زارتها من قبل، وكانت سعيدة لأن المنازل جميلة ومنسقة، وقالت لنفسها إنه من طراز الأماكن التي يحب المرء أن يعيش فيها خصوصا لو كان قد أمضى وقتا طويلا في الخارج، فمن هنا ينبعث شعور بالأمن البريطاني والذوق السليم والحديث اللطيف.

وبعد أن استعلمت عن المكان الذي تقصده دخلت إلى صالون الحلاقة حيث كانت بعض السيدات يتزيّن، وتقدمت منها عاملة ممتلئة وفي هيئتها تساؤل، وطلبت السيدة "**أوليفر**" مقابلة السيدة "**روزونتال**" وقالت إنها تحدثت معها تليفونيا واتفقت معها على أن تقابلها في الحادية عشرة والنصف لمدة قصيرة.

– نعم، أعتقد أن السيدة تنتظر شخصا ما. وتقدمتها خلال ممر ثم نزلت سلالم قليلة وفتحت بابا، وكان من الواضح أن هذا هو منزل السيدة "**روزونتال**". وطرقت الفتاة بابا آخر وفتحته وأعلنت:

– هناك سيدة جاءت لمقابلتك. ثم سألت بلهجة عصبية:

– ما الاسم الذي ذكرته؟

– السيدة "**أوليفر**". ودخلت السيدة "**أوليفر**" الغرفة ووجدت فيها سيدة ربما تكبرها بسنوات قليلة جالسة تتناول فنجانا من القهوة. قالت السيدة "**أوليفر**":

– السيدة "**روزونتال**"؟

– نعم.

– ألم تكوني تتوقعين حضوري؟

– بلى، أنا لم أفهم تماما ما الموضوع فإن الخطوط التليفونية رديئة، لكن لا بأس، إن لديّ حوالي نصف ساعة خالية. هل أصب لك بعض القهوة؟

– كلا، شكرا لك لن أؤخرك.. هناك شيء أود أن أسألك عنه وقد تتذكرينه.. لقد علمت أن لك تاريخا طويلا في مهنة تصفيف الشعر.

– نعم، وإني سعيدة لأن الفتيات يقمن بالعمل الآن وأنا أشرف فقط على ملاحظة سير العمل.

– ربما مازلت تقدمين النصائح إلى الناس؟ وابتسمت السيدة "**روزونتال**"، وقالت:

– نعم إني أفعل ذلك.

– كنت أريد أن أسألك عن... حسنا، اظن أن سؤالي يتعلق بالباروكات عموما.

– نحن لا نتعامل بالباروكات الآن بالكثرة التي كنا نتعامل بها من قبل.

– ألم يكن لديك محل في "**لندن**"؟

– بلى.. في "**بوند ستريت**".. كان هذا منذ فترة، ثم انتقلنا إلى "**سلون ستريت**"، لكن من الجميل أن يعيش المرء في الريف، وأنا وزوجي راضيان جدا بالحياة هنا، ولدينا عملاء قلائل ونتعامل بالباروكات قليلا الآن ولو أن زوجي يقدم النصائح ويصنع الباروكات للرجال المصابين بالصلع، وكما تعرفين هناك كثير من الناس يساعدهم مظهر صغر السن الذي توفره الباروكات في الحصول على وظائف.

– نعم، بوسعي أن أتخيل ذلك. وفجأة انحنت السيدة "**روزونتال**" إلى الأمام، وقالت:

– الست "**أريدان أوليفر**" كاتبة القصص؟

– بلى.. في الواقع. وبدا عليها الاضطراب المعتاد عند الحديث عن نفسها كأديبة:

– صحيح، إني أكتب روايات.

– إني أحب كتبك كثيرا، وقد قرأت عددا منها.. إن هذا جميل حقا! والآن قولي لي بأي طريقة يمكن أن أساعدك؟

– كنت أريد أن أتحدث عن الباروكات وعن شيء حدث منذ عدة سنوات، ومن المحتمل أنك لا تتذكرين شيئا عن الموضوع.

– إني لأتساءل هل تعنين موضات الأعوام الماضية؟

– ليس تماما.. إنها صديقة كانت زميلتي في المدرسة، ثم تزوجت وذهبت إلى "**الملايو**" وبعد أن عادت إلى "**إنجلترا**" كانت لها مأساة ومن ضمن الأمور التي أثارت الدهشة بعد ذلك أنه كان لديها عدد من الباروكات أعتقد أن محلك هو الذي أمدها بها.

– مأساة؟! وما كان اسمها؟

– كان اسمها عندما عرفتها "**بريستون جري**". وبعد الزواج أصبح "**رفنسكروفت**".

– آه، إني أتذكر هذه السيدة.. الليدي "**رفنسكروفت**" إني أتذكرها جيدا.. وكانت لطيفة وجميلة، نعم وكان زوجها "**عقيداً**" أو "**جنرالا**"، وقد نسيت الآن المحافظة التي كانا يقيمان فيها. قالت السيدة "**أوليفر**":

– وحدث ما قيل إنه انتحار مزدوج.

– نعم نعم، إني أتذكر أني قرأت عنه، وقلت إن هذه هي عميلتنا الليدي "**رفنسكروفت**"، وكانت هناك صور نشرت لهما في الصحف، وتأكدت من ذلك. وكان يبدو أمرا محزنا وسمعت أنها مصابة بالسرطان وأنه لا جدوى من علاجها ولذلك وقع الحادث، ولكني لم أسمع أي تفاصيل.

– لقد فهمت أن الشرطة التي حققت في القضية ظنت أن أربع باروكات عدد كبير لشخص واحد، لكن ربما كان الناس في هذا الوقت يقتنون أربع باروكات في وقت واحد؟

– إني أعتقد أن معظم الناس كان لديهم على الأقل باروكتان ليستطيعوا إرسال واحدة لتصفيفها بينما يلبسون الأخرى.

– هل تتذكرين أن الليدي "**رفنسكروفت**" طلبت شراء باروكتين إضافيتين؟

– لم تأت بنفسها، وأعتقد أنها كانت مريضة أو في مستشفى وإنما جاءت سيدة شابة فرنسية، أعتقد أنها كانت مرافقة لـ"الليدي" وكانت تجيد التحدث بالإنجليزية. وأوضحت كل شيء عن الباروكات، والمقاسات والألوان... إلخ، نعم، ياللعجب أتذكر شيئا كذلك! أظن انني ما كنت لأتذكر هذا لو لم أقرأ بعد ذلك بحوالي شهر عن الانتحار.. أعتقد أنهم أعطوها أنباء سيئة في المستشفى عن صحتها؛ ولذلك لم تعد تستطيع أن تواجه الحياة بعد ذلك وشعر زوجها بأنه لا يستطيع أن يواجه الحياة دونها. وهزت السيدة "**أوليفر**" رأسها بحزن وواصلت تحرياتها فسألت عن أنواع الباروكات، وقالت لها السيدة "**روزونتال**" إنها كانت باروكات مختلفة: واحدة للسهرة وواحدة للمساء وواحدة معقوصة، وأضافت أنها أسفت لأنها لم تر "**الليدي**" بعد ذلك، وأنها بجانب مرضها كانت حزينة جدا على أختها التوأم التي ماتت حديثا. قالت السيدة "**أوليفر**":

– نعم، إن التوائم يحب كلٌ منهم الآخر، أليس كذلك؟

– كانت قبل ذلك تبدو دائما امرأة سعيدة جدا. وتنهدت المرأتان وغيرت السيدة "**أوليفر**" الحديث قائلة:

– هل تعتقدين أن باروكة ستكون مفيدة لي؟ ومدت الإخصائية يدها إلى شعر السيدة "**أوليفر**"، وقالت:

– لا أنصح بذلك؛ فإن لك شعرا رائعا غزيرا. وابتسمت وتابعت:

– هل تحبين أن تجربي فيه التسريحات؟

– إنه لذكاء منك أن تعرفي ذلك، هذا حقيقي، إني أحب أن أجرب فالتجربة شيء مسلٍّ.

الفصل السادس عشر

دخل السيد "**جوبي**" الغرفة وجلس على المقعد الذي أشار إليه "**بوارو**" ونظر حوله قبل أن ينتقي قطعة معينة من الأثاث ليوجه إليها الحديث. فلم يكن قد عرف قط أن السيد "**جوبي**" وجه حديثه إلى إنسان عمل لحسابه. وأخرج من حقيبته بعض الأوراق. قال "**هركيول بوارو**":

– حسنا، هل لديك شيء من أجلي؟

– لقد جمعت تفاصيل مختلفة. وكان "**جوبي**" مشهورا في "**إنجلترا**" كلها بمهارته في الحصول على معلومات. وأخذ يتحدث كمن يتلو بيانا:

– السيدة "**بورتون كوكس**" تزوجت السيد "**سيسل آلد بري**" من رجال الصناعة وكان رجلا غنيا. انتخبت هي عضو برلمان عن "**ليتل ستسمور**" وقتل السيد "**آلد بري**" في حادث سيارة بعد زواجهما بأربع سنوات. ومات طفلهما الوحيد بعد ذلك بقليل. وورثت زوجها ولكن الميراث لم يكن مثلما كان منتظرا؛ لأن الشركة كانت لا تكسب كثيرا في السنوات الأخيرة، كما أن السيد "**آلد بري**" ترك مبلغا كبيرا من المال للآنسة "**كاتلين فين**" التي يبدو أنه كان على علاقة وثيقة

بها دون علم زوجته.. وواصلت السيدة "**بورتون كوكس**" حياتها السياسية. وبعد ذلك بحوالي ثلاث سنوات تبنت طفلا كان ابنا للآنسة "**كاتلين**"، وصممت هذه الأخيرة على أن الطفل هو ابن المرحوم السيد "**آلد بري**". وهو أمر من الصعب تصديقه؛ لأنه حسب تحرياتي كان للآنسة "**فين**" علاقات كثيرة برجال أثرياء وكرماء. وأظن أني سأقدم إليك فاتورة كبيرة؛ لأن هذه التحريات كلفتني كثيرا".

– واصل الحديث.

– ووافقت السيدة "**آلد بري**" – كما كان اسمها في هذا الوقت – على تبني الطفل، وبعد قليل تزوجت العقيد "**بورتون كوكس**". وبعد ذلك أصبحت الآنسة "**كاتلين فين**" ممثلة ومغنية مشهورة وكوّنت ثروة كبيرة ثم كتبت خطابا للسيدة "**بورتون كوكس**" تقول فيه إنها على استعداد لإرجاع الطفل إليها، ولكن السيدة "**بورتون كوكس**" رفضت. وقد قتل العقيد "**بورتون كوكس**" في "**الملايو**" وترك أرملته في يسر. وقد علمت أن الآنسة "**كاتلين فين**" ماتت منذ فترة وجيزة حوالي سنة ونصف، وتركت وصية أوصت فيها لابنها غير الشرعي "**ديسموند**" المعروف باسم "**ديسموند بورتون كوكس**"، بكل ثروتها الضخمة. قال "**بوارو**":

– هذا كرم كبير. م ماتت الآنسة "**فين**"؟

– قيل لي إنها ماتت بسرطان الدم.

– وهل ورث الولد أمه؟

– سيتسلم الثروة عندما يبلغ الخامسة والعشرين.

– وهكذا سيكون مستقلا ماديا وستكون لديه ثروة طيبة! وماذا عن السيدة "**بورتون كوكس**"؟

– علمت أن النجاح لم يصادفها في استثماراتها. ولديها ما يكفي لتعيش به، لكن ليس أكثر من ذلك. سأل "**بوارو**":

– هل كتب الولد وصية؟

– إنني لا أعرف هذا بعد، لكن بوسعي أن أعرفه ولو عرفته فسأخبرك بالنتيجة دون إضاعة وقت. ثم استأذن السيد "**جوبي**" وانصرف. وبعد ذلك بحوالي ساعة

ونصف وبينما كان "**بوارو**" منهمكا في كتابة ملاحظاته دق جرس التليفون وكان المتحدث السيد "**جوبي**" الذي أخبره بأن "**ديسموند**" يعرف أنه متبنى، لكنه يجهل مَنْ أمه الحقيقية وأنه كتب وصية لصالح أمه. وبعد حوالي نصف ساعة اتصلت به السيدة "**أوليفر**" تليفونيا وأخبرته بمضمون حديثها مع السيدة "**روزونتال**". وسر "**بوارو**" عندما علم أن الليدي "**رفنسكروفت**" لم تشتر الباروكتين الأخيرتين بنفسها وإنما اشترتهما مرافقتها الفرنسية، وسأل:

– وهل تعرفين اسم هذه المرافقة؟

– كلا، لا أعتقد أن السيدة "**روزونتال**" ذكرته ولا أعتقد في الواقع أنها تعرفه، فإن الليدي "**رفنسكروفت**" هي التي حددت الميعاد والفتاة الفرنسية جاءت فقط بالباروكات من أجل المقاس على ما أظن. قال "**بوارو**":

– حسنا، هذا سيساعدني في الخطوة الأخرى التي سأخطوها. قالت السيدة "**أوليفر**":

– وماذا عملت أنت؟ هل فعلت أي شيء؟

– إنك دائما تشكين فيّ وتعتقدين أني لا أفعل أي شيء؟ وأني أجلس في مقعد وأريح نفسي.

– إني فعلا أعتقد أنك تجلس في مقعد وتفكر، كما أني أوافقك على أنك قليلا ما تخرج وتنجز أعمالا.

– أعتقد أنني عن قريب سأخرج وأنجز أمورا وستسرين من ذلك، بل إنه من المحتمل أن أعبر حتى المانش ولو أني لن أعبره في مركب وإنما سأعبره في طائرة.

– وهل تريد مني أن آتي معك أيضا؟

– كلا، أعتقد أنه من الأفضل لو ذهبت بمفردي في هذه المرة.

– هل ستذهب حقيقة؟

– نعم.. نعم، سأجري هنا وهناك بكل نشاط وهكذا سترضين عني يا سيدتي العزيزة. وبعد أن أنهى المكالمة طلب رقما آخر وسريعا ليتحدث إلى الشخص الذي طلبه.

– عزيزي المفتش العام "**جرووي**"، "**هركيول بوارو**" هو المتحدث.. هل أقلقتك كثيرا؟ هل أنت مشغول جدا في هذه اللحظة؟

– كلا، لست مشغولا، كنت أعنى بالورد، هذا كل ما في الأمر.

– هناك أمر صغير أود أن أسألك عنه.

– هل له علاقة بمشكلة الانتحار المزدوج؟

– نعم، لقد قلت إنه كان هناك كلب في المنزل، وقلت إن الكلب كان يخرج للنزهة مع العائلة.

– نعم ذكر شخص ما، إما مديرة المنزل أو سواها، أنهما كانا يأخذان كلبهما معهما عندما يذهبان للتنزه على الأقدام.

– هل وجدت آثار عضة كلب عند فحص جثمان الليدي "**رفنسكروفت**"؟

– من العجيب أن تقول هذا، ولولا أنك ذكرته ما تذكرته ولكن الجواب، عن هذا هو نعم، وجد أثران ولكنهما ليسا عميقين. وقد ذكرت مديرة البيت أن الكلب هاجم سيدته أكثر من مرة وعضها ولكن العضة كانت بسيطة. اسمع يا "**بوارو**" لم يكن هناك مرض صرع الكلب إن كان هذا هو ما تفكر فيه، ولا يمكن أن يكون هناك شيء من هذا القبيل، إنها ماتت مقتولة بالرصاص ولم يكن هناك أي خوف من تسمم أو خطر تيتانوس. قال "**بوارو**":

– أنا لا ألوم الكلب، لقد فعل شيئا كنت أود أن أعرفه.

– كانت إحدى العضات حديثة جدا قبل الوفاة بأسبوع أو أسبوعين، ولم يكن هناك حاجة إلى الحقن فقد شفي الجرح تماما وهناك مثل يقول: "الكلب الذي مات".. لا أستطيع أن أتذكر باقي المثل. قال "**بوارو**":

– على أي حال، لم يكن الكلب هو الذي مات ولم يكن هذا الغرض من سؤالي.. كنت أحب أن أعرف هذا الكلب ربما كان كلبا ذكيا جدا. وبعد أن أنهى المكالمة وشكر "**جرووي**" تمتم: "كلب ذكي وربما كان أذكى من الشرطة".

الفصل السابع عشر

أدخلت الآنسة "**ليفنجستون**" ضيفا إلى الغرفة وكان هذا الضيف هو "**هركيول بوارو**"، وبمجرد أن خرجت من الغرفة وأغلقت خلفها الباب جلس "**بوارو**" بجوار صديقته السيدة "**أوليفر**"، وقال وهو يخفض صوته:

– إني راحل. قالت السيدة "**أوليفر**":

– ماذا؟!

– إني راحل.. سأرحل.. سآخذ طائرة إلى "**جنيف**".

– إنك تتحدث كما لو كنت من هيئة الأمم.

– كلا إنها زيارة خاصة.

– هل عندك فيل في "**جنيف**"؟

– يمكنك، على ما اظن، أن تنظري إلى الأمر بهذه الطريقة، وربما يكون لديّ فيلان.

– لم أعثر على أي شيء جديد، وفي الواقع لا أعرف إلى من أتوجه لأعرف أكثر من هذا.

– أعتقد أنك ذكرت – أو ذكر شخص آخر – أن لـ "**سيليا رفنسكروفت**" اخا أصغر منها.

– نعم، وأعتقد أن اسمه "**إدوارد**"، وما رأيته إلا لماما ولو أني أتذكر اني أخذته من المدرسة لأفسحه مرة أو مرتين، ولكن هذا كان من سنين عديدة.

– أين هو الآن؟

– إنه على ما أعتقد في جامعة في "**كندا**"، وأظن أنه يتلقى هناك دراسة في الهندسة.. هل تريد أن تذهب وتوجه إليه أسئلة؟

– كلا، ليس الآن.. كنت فقط أريد أن أعرف أين هو الآن، ولكنني فهمت أنه لم يكن في المنزل عندما حدث هذا الانتحار.

– هل تفكر.. هل تفكر ولو للحظة في أنه الفاعل؟ أعني أنه قتل أبويه

بالرصاص؟ إنني أعرف أن الفتيان يفعلون ذلك أحيانا وهم يكونون في غاية الغرابة أحيانا في السن الحرجة. قال "**بوارو**":

– إنني أعرف من سجلات الشرطة أنه لم يكن بالمنزل.

– هل عثرت على أي شيء مهم آخر؟ إنك تبدو متحمسا.

– إنني متحمس فقد اكتشفت أشياء معينة قد تلقي الضوء على ما كنا نعرفه من قبل.

– ماذا تعني بذلك؟

– يبدو لي أن بوسعي أن أفهم الآن لماذا قصدتك السيدة "**بورتون كوكس**" كما فعلت، ولماذا حاولت أن تجعلك تحصلين على معلومات لها عن وقائع انتحار آل "**رفنسكروفت**".

– أتعني أنها لم تكن مجرد فضولية؟

– أعني أنه كان هناك دافع وراء ذلك، وأنه ربما يدخل دور المال هنا.

– المال؟! ما دخل المال في الأمر؟! إنها ميسورة، أليس كذلك؟

– إن لديها ما يكفيها لتعيش، لكن يبدو أن ابنها المتبنى – الذي تنظر إليه كابنها الحقيقي كما يبدو– يعرف أنه متبنى ولو أنه لا يعرف أي شيء عن أسرته الحقيقية، ويبدو أنه كتب وصية عند بلوغه سن الرشد – ربما بإيحاء من أمه أو من أحد الأصدقاء أو المحامين – وأوصى لها بثروته لأنه يبدو أنه لم يكن لديه شخص آخر في ذلك الوقت يوصي له بأمواله.

– لا أرى كيف يؤدي هذا إلى سعيها للحصول على أخبار عن الانتحار.

– ألا ترين؟ إنها كانت تريد أن تمنع الزواج، فلو كان لـ "**ديسموند**" الشاب صديقة ينوي أن يتزوج بها في المستقبل القريب، وهو ما يفعله الكثير من الشباب هذه الأيام، ففي هذه الحالة لن ترث السيدة "**بورتون**" ثروته بما أن الزواج يبطل أي وصية سابقة، ولو تزوج هو بالفتاة فمن المتوقع أنه سيكتب وصية جديدة يترك لفتاته كل ثروته ولا يترك شيئا لأمه بالتبني.

– أتعني أن السيدة "**بورتون كوكس**" لم تكن لتريد ذلك؟

– كانت تريد أن تجد شيئا يثنيه عن الزواج بهذه الفتاة وأعتقد أنها كانت تأمل، وربما كانت تعتقد حقا أن والدة "**سيليا**" هي التي قتلت والدها وانتحرت بعد ذلك، وحتى لو كان والدها هو القاتل وانتحر بعد ذلك فهذه من الأمور التي قد تثني فتى عن عزمه وقد تؤثر فيه في هذه السن.

– أتعني أنه سيفكر أنه لو كان أحد أبويها قاتلا فقد يكون لدى الفتاة ميول إجرامية؟

– قد لا يفكر بهذه الطريقة العنيفة تماما، لكن أعتقد أن هذه ستكون فكرته العامة.

– لكن هل هو غني؟ طفل متبنى؟ وهنا أخبرها "**بوارو**" بما عرفه من السيد "**جوبي**"، وقال:

– ولذلك فإن السيدة "**بورتون كوكس**" لا تريده أن يتزوج أو تريده أن يتزوج فقط بفتاة توافق هي عليها وتكون تحت سيطرتها.

– نعم، هذا يبدو معقولا.. إنها ليست امرأة لطيفة، أليس كذلك؟

– كلا، لا أعتقد أنها امرأة لطيفة.

– ولذلك لم ترد أن تقابلك ولم ترد أن تتحرى عن الموضوع وتكشف ألاعيبها.

قال "**بوارو**":

– أمر ممكن.

– هل علمت أي شيء آخر؟

– نعم، لقد علمت من المفتش العام "**جرووي**" – منذ بضع ساعات فقط – أن نظر مديرة المنزل كان ضعيفا جدا.

– وهل لهذا علاقة بالموضوع؟

– ربما.. ونظر "**بوارو**" إلى ساعته، وقال:

– أعتقد أنه حان وقت انصرافي.

– هل أنت في طريقك إلى المطار لتلحق بطائرتك؟

– كلا، إن طائرتي لن تسافر قبل غد صباحا، ولكن هناك مكانًا أريد أن أزوره

اليوم وأريد أن أراه بعيني، ولدي سيارة تنتظرني في الخارج لتتوجه بي إلى هناك.

وسألت السيدة "**أوليفر**" ببعض الفضول:

– ما الذي تريد أن تراه؟

– إني أريد أن أشعر –أكثر من أن أرى– نعم، هذا هو التعبير الصحيح – أن أشعر وأعرف ما الشعور الذي سأشعر به.

الفصل الثامن عشر

مر "**بوارو**" عبر بوابة الكنيسة ومشى في أحد الممرات وسريعا ما وقف بجوار حائط ينظر إلى مقبرة. ووقف هناك لبضع دقائق وهو ينظر تارة إلى المقبرة وتارة إلى منظر الأراضي المنخفضة الخضراء والبحر البادي عن بعد. وكانت هناك زهور وضعت حديثا على المقبرة.. زهور برية من النوع الذي قد يتركه طفل ولكن "**بوارو**" لم يعتقد أن الذي تركها طفل وقرأ السطور المكتوبة على المقبرة:

للذكرى:

"**دوروتيا جارو**" ماتت في 15 أيلول (سبتمبر) 1960.

وأيضا للذكرى:

"**مرجريت رفنسكروفت**"

شقيقة المذكورة أعلاه ماتت في 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1960.

وأيضا للذكرى:

"**أليستر رفنسكروفت**" مات في 3 تشرين الأول (أكتوبر) 1960.

زوجها

لم يفرقهما الموت

اغفر لنا خطايانا

كما نغفر للذين يسيئون إلينا

يا رب ارحمنا

ووقف "**بوارو**" قليلا وهز رأسه مرة أو مرتين ثم ترك حديقة الكنيسة ومشى في الممر المؤدي إلى الربوة ووقف هناك ينظر إلى البحر ويكلم نفسه: "إنني متأكد من أني أعرف الآن ماذا حدث ولماذا، وأني أفهم المأساة وأسبابها. ويجب على المرء أن يعود إلى الماضي شوطا طويلا.. وفي نهايتي بدايتي" أو هل نعبّر بطريقة مختلفة؟ "في بدايتي كانت توجد نهايتي المفجعة؟" لابد من أن الفتاة السويسرية تعرف، لكن هل ستخبرني؟ إن الفتى يعتقد أنها ستفعل ذلك. من أجلهما، الفتى والفتاة فهما لا يستطيعان تقبل الحياة ما لم يعرفا.

الفصل التاسع عشر

انحنى "**هركيول بوارو**"، وقال:

– آنسة "**روسيل**"؟ ومدت له الآنسة "**روسيل**" يدها.. وقال "**بوارو**" لنفسه: "إنها في نحو الخمسين.. لها شخصية ذكية مثقفة راضية عن حياتها تستمتع بمباهج وآلام الحياة". وقالت:

– لقد سمعت اسمك فإن لك أصدقاء هنا في "**فرنسا**"، ومع أنك شرحت الأمر في خطابك إلا أني لا أعرف بالضبط ما الذي أستطيع أن أفعله من أجلك، ألم يقع هذا الحادث في الماضي؟ إنك تريد المفتاح إلى لغز الأمور التي حدثت.. لكن تفضل بالجلوس.. نعم.. نعم، إن هذا المقعد مريح جدا، ها هو بعض الـ "بيتي فور". كانت كريمة في ضيافتها دون إلحاح وكانت هادئة ولطيفة، قال "**بوارو**":

– كنت في وقت ما مربية عند عائلة "**رفنسكروفت**" وربما لا تتذكرينهم الآن.

– بل أتذكرهم فإن المرء لا ينسى ما حدث في شبابه.. كانت هناك فتاة وولد أصغر منها بحوالي أربع أو خمس سنوات وكانا ظريفين، وقد أصبح والدهما "جنرالا" في الجيش. وأخبرته بأن الأم "**مرجريت**" كانت في مدرسة في "**أوربا**" وهي فتاة وأنها طلبت من السيدة "**بنواه**" مديرة المدرسة أن ترشح مربية لأولادها فاختارتها هي أي الآنسة "**روسيل**"، وذكرت أن الفتاة كان اسمها "**سيليا**" والولد

اسمه "**إدوارد**" وكانا طفلين لطيفين وكانت تحبهما، كما قالت إن الليدي "**رفنسكروفت**" كانت لها أخت توأم تشبهها تماما وكانت تقيم معهم في أثناء فترة من عملها مع هذه الأسرة. وقال "**بوارو**":

– لقد سمعت أنهما كانا سعيدين معك وأنهما كانا يحبان أن يلعبا معك وأنك كنت لطيفة وكنت تلعبين معهما.

– أنا أحب الأطفال.

– أعتقد أنهما كانا يسميانك "**مادي**". وضحكت وقالت:

– إني أحب سماع هذه الكلمة فإنها تعيد لي ذكريات شبابي.

– هل كنت تعرفين ولدا اسمه "**ديسموند**"؟ "**ديسموند بورتون كوكس**"؟

– نعم، وأعتقد أنه كان يقيم في منزل مجاور.. كان لدينا جيران كثيرون كانوا كثيرا ما يأتون ليلعبوا مع طفلي العائلة.. نعم، إني أتذكر أنه كان اسمه "**ديسموند**".

– هل ظللت هناك مدة طويلة يا آنسة؟ وأجابت بأنها عملت لمدة أربع سنوات تقريبا ثم استُدعيت لبلدها؛ لأن والدتها كانت مريضة ومحتاجة إليها وأنها ماتت بعد عودتها بحوالي سنتين، وبعد ذلك افتتحت مدرسة لتعليم البنات الكبار اللغات، ولم تزر "**إنجلترا**" بعد ذلك، ولكن الطفلين كانا يرسلان إليها بطاقات تهنئة في الكريسماس.

– هل كان "**الجنرال**" وزوجته يبدوان لك كزوجين سعيدين؟

– كانا سعيدين جدا ويحبان طفليهما كثيرا.

– لقد ذكرت أن الليدي "**رفنسكروفت**" كانت تحب أختها وتتفانى لها، فهل كان الشعور متبادلا؟ فأجابت بأن "**دوللي**" كانت بالتأكيد مختلّة عقليا وأنها تصرفت تصرفات غريبة في بعض الأحيان وكانت تغار من أختها، وأحيانا كانت تحبها وأحيانا تمقتها، وأنها كانت تعتقد أن أختها وزوجها يكثران من إظهار حبهما للأطفال وكانت تغار من طفليهما، وقالت إن الآنسة "**موهورا**" التي تقيم في "**لوزان**" يمكنها لو أرادت أن تخبره بالكثير؛ لأنها ذهبت لتعمل لدى آل

"**رفنسكروفت**" بعدها بعامين ومكثت معهم عدة أعوام ثم عادت كمرافقة لليدي "**رفنسكروفت**" بعد أن ذهبت "**سيليا**" إلى المدرسة، ولكنها كتوم ولم تخبرها قط بأي شيء. قال "**بوارو**" :

– إن معي عنوانها وسأذهب لرؤيتها.

*****

وجد "**بوارو**" الآنسة "**موهورا**" أصغر من الآنسة "**روسيل**" بحوالي عشرة أعوام على الأقل ولا تزال جذابة وتبدو ذكية ولها شخصية. قال:

– أنا "**هركيول بوارو**" يا آنسة.

– إني أعرف فقد كنت أتوقع قدومك إما اليوم أو غدا.

– وهل تلقيت خطابي؟

– كلا، لا شك في أنه لا يزال في البريد فإن البريد عندنا ليس سريعا.. لقد تلقيت رسالة من شخص آخر.

– أمن "**سيليا رفنسكروفت**"؟

– كلا إنها رسالة من شاب على علاقة وثيقة بـ "**سيليا**" اسمه "**ديسموند بورتون كوكس**". وقد مهّد لحضورك.

– فهمت.. إنه ذكي ولا يضيع الوقت، لقد كان يحثني على المجيء لمقابلتك.

– هكذا فهمت وعلمت أن هناك مشكلة يريد أن يحلها وتريد "**سيليا**" ذلك أيضًا، وهما يعتقدان أن بوسعك أن تساعدهما.

– نعم، ويعتقدان أن بوسعك أنت أن تساعديني.

– إنهما متحابان ويريدان الزواج.

– نعم، لكن هناك مصاعب توضع في طريقهما.

– فهمت أنها من جانب والدة "**ديسموند**" كما أخبرني.

– إن هناك ظروفا أو كان هناك ظروف في حياة "**سيليا**" جعلت أمه متحيزة ضد زواجه المبكر بهذه الفتاة بالذات.

– آه.. من أجل هذه المأساة.. إنها كانت مأساة.

– نعم، من أجل المأساة. إن "**سيليا**" لها إشبينة وقد طلبت منها والدة "**ديسموند**" أن تحاول أن تعرف من "**سيليا**" الظروف الحقيقية التي تسببت في حدوث الانتحار.

– إن هذا هراء! اجلس من فضلك، أظن أن حديثنا سيستغرق بعض الوقت.. لم يكن بوسع "**سيليا**" أن تخبر إشبينتها – أليست هي القصصية السيدة "**أريدان أوليفر**"؟ نعم، إني أتذكر؛ لأن "**سيليا**" نفسها ليس لديها المعلومات المطلوبة.

– أليس صحيحا أن "**سيليا**" لم تكن موجودة عندما حدثت الفاجعة وأن أحدا لم يخبرها بالتفاصيل؟

– بلى، هذا صحيح.. لقد تقرر أنه ليس من المصلحة إخبارها بشيء.

– وهل توافقين على هذا القرار أم لا؟ فأجابت بأن هذا أمر صعب، لكن لم يبد أن "**سيليا**" كان يقلقها سبب انتحار والديها، وأخبرته بأن "**سيليا**" أرسلت إلى "**سويسرا**" فجأة قبل الحادث بقليل لتكمل تعليمها، وأنها ألحقت بمدرسة كانت الآنسة "**موهورا**" تديرها وكانت أخت الآنسة "**موهورا**" تنوب عنها في إدارتها في ذلك الوقت؛ لأنها هي كانت في "**إنجلترا**" كمرافقة لليدي "**رفنسكروفت**" التي كانت صحتها قد تأثرت من القلق وصدمة توتر عصبي كما أنها لحقت بـ "**سيليا**" بعد ذلك بحوالي شهر.

– ولكنك كنت في "**أوفر كليف**" عندما وقع الحادث. وأجابته بالإيجاب وقالت له إن كل الدلائل كانت تشير إلى أنه انتحار مزدوج.

– ألم تجدي سببا للشك في ذلك؟

– أعتقد أن الشرطة لم تجد سببا. قال "**بوارو**":

– آه.. ونظر إليها وكان وجهها لا يعبر عن شيء وتبدو متمالكة تماما.

– إذن فأنت لا تستطيعين إخباري بأي شيء آخر؟

– أظن ذلك فقد مر على ذلك وقت طويل.

– ولكنك تتذكرين هذه الفترة جيدا.

– نعم، فإن الإنسان لا ينسى مثل هذه الأمور المحزنة كلية.

– وهل وافقت على عدم إخبار "**سيليا**" بأي شيء آخر أدى إلى هذا الحادث؟

– ألم أقل لك إنني لم أكن أعرف أية معلومات زائدة؟

– ألم تكوني تقيمين في "**أوفر كليف**" لمدة قبل حدوث المأساة؟ ربما لمدة شهر أو شهر ونصف؟

– كانت مدة أطول من هذه حقيقة، ومع أني كنت قبل ذلك مربية "**سيليا**" إلا أني عدت في هذه المرة، بعد أن كبرت وذهبت إلى المدرسة؛ لكي أعاون الليدي "**رفنسكروفت**".

– ألم تكن أخت الليدي "**رفنسكروفت**" تقيم هناك أيضا في ذلك الوقت؟

– بلى، وكانت قد أمضت بعض الوقت في المستشفى لعلاج خاص وأظهرت تحسنا كبيرا، ولذلك شعر الأطباء بأنه من الأفضل أن تعيش حياة طبيعية مع أقاربها وفي جو عائلي، وبما أن "**سيليا**" كانت قد ذهبت إلى مدرسة داخلية فقد بدا لليدي "**رفنسكروفت**" أنه وقت مناسب لتدعو شقيقتها إلى الإقامة معها.

– هل كانت الأختان تحب كل منهما الأخرى؟

– كان من الصعب معرفة ذلك ولقد طالما تساءلت بعد ذلك.. كانتا توأمين متشابهتين تماما كما تعرف، وكان بينهما رباط متبادل من الحب واعتماد الواحدة على الأخرى، وكانتا متشابهتين في كثير من النواحي، لكن كانتا أيضا مختلفتين في بعض النواحي.

– ماذا تعنين؟ إني سأكون مسرورا جدا لو عرفت ماذا تعنين بذلك؟

– ليس لهذا علاقة بالمأساة بالمرة.. كانت "**دوللي**" بالتأكيد فيها عيب أو خلل عضوي أو عقلي كما تشاء أن تسميه، فإن بعض الناس في هذه الأيام لديهم نظرية بأن هناك سببا عضويا لأي مرض عقلي، وأعتقد أن الأطباء يعترفون إلى حد ما بذلك وبأن التوأمين يولدان مرتبطان برباط قوي بينهما وتشابه كبير بين شخصية كل منهما، ويعني هذا أنهما يكونان متشابهين في حياتهما بصرف النظر عن البيئة؛ فلو كان هناك مثلا توأمتان إحداهما تعيش في "إنجلترا" والأخرى تعيش في

"**فرنسا**" لوجدنا أن كلا منهما تحب الأشياء نفسها، بل وتتزوجان برجلين متشابهين وربما تلدان في الشهر نفسه ويبدو أيضا أنهما تتبعان نمط واحد في الحياة، ثم هناك النوع الآخر المضاد لذلك حيث يكون هناك اشمئزاز يكاد يصل إلى كره يجعل الأخ أو الأخت يبتعد عن أخيه أو أخته ويلفظه كما لو أنه يسعى للهروب من الشبه والنواحي التي يتقاسمانها، وقد يؤدي هذا إلى نتائج غريبة. قال "**بوارو**" :

– أعرف فقد سمعت عن ذلك بل وصادفته مرات قليلة، فمن السهل أن ينقلب الحب إلى كراهية، ومن الأسهل أن يكره المرء شخصا كان يحبه من أن يكون غير مهتم بعد حب.

– نعم أعرف ذلك.

– نعم، لقد شاهدت هذا عدة مرات.. هل كانت أخت الليدي "**رفنسكروفت**" تشبهها كثيرا؟

– كانت لا تزال تشبهها كثيرا ولو أن انطباع وجهها كان مختلفا، فقد كانت في حالة توتر، بينما لم تكن الليدي "**رفنسكروفت**" هكذا، وكانت تنفر كثيرا من الأطفال ولا أعرف سببا لذلك، وربما أجهضت في شبابها وكانت تنفر كثيرا من الأطفال ولا تحبهم. سأل "**بوارو**" :

– وأدى هذا إلى حادثين خطيرين، أليس كذلك؟

– هل أخبرك أحد بذلك؟ وعندئذ روى لها "**بوارو**" ملخصا لما سمعه عن "**دوروتيا**" بخصوص غرق طفلها وموت طفل آخر في "**الملايو**". وردت عليه قائلة:

– نعم، أعتقد أن هذا موجز جيد لما حدث ولو أني بالتأكيد لا أعرف ذلك إلا عن سمع.

– ولكن هناك أشياء أخرى على ما أعتقد تعرفينها شخصيا.

– لو كان الأمر كذلك فأنا لا أرى سببا لكي أعيدها للأذهان الآن، أليس من الأفضل ترك الأمور على الأقل عندما يكون الناس قد تقبلوها؟ فرد "بوارو" أن هناك عدة أشياء يمكن أن تكون قد حدثت في "**أوفر كليف**" فهو إما انتحار مزدوج أو

جريمة قتل أو عدة أمور أخرى، وأنه عرف من جملة قالتها هي أنها تعرف شخصيا شيئا ما. وأنه سيوجه إليها سؤالا ويود أن تجيب عنه، والسؤال هو: "ماذا كان شعور "**الجنرال**" حيال الشقيقتين التوأمتين؟" .

– إني أعرف ما تعنيه. ولأول مرة تغيرت طريقتها قليلا وانحنت إلى الأمام وبدا وهي تكلم "**بوارو**" أنها تجد راحة في الحديث في هذا الموضوع.

– كانتا جميلتين جدا كفتاتين وقد سمعت ذلك من عدة أشخاص ووقع "**رفنسكروفت**" في غرام "**دوللي**" الأخت المصابة عقليا، فقد كانت جذابة جدا وأحبها كثيرا، ثم لا أعرف إن كان قد اكتشف شيئا فيها نفّره منها أو خوفه أو ربما رأى مبادئ الجنون، على أي حال لقد تحول إلى حب أختها وتزوجها.

– أتعنين انه أحبهما حقيقة لكن في أوقات مختلفة.

– إنه كان متفانيا في حب "**موللي**" وكانا يعتمدان كل منهما على الآخر وكان رجلا ظريفا. قال "**بوارو**" :

– سامحيني ولكني أعتقد أنك أيضا كنت تحبينه.

– هل.. هل تجرؤ أن تقول لي هذا؟

– نعم أجرؤ، وأنا لا أقول إنه كانت هناك علاقة غرامية بينكما، وإنما أقول فقط إنك كنت تحبينه. وقالت "**زيلي موهورا**" :

– نعم كنت أحبه ومازلت أحبه وهو شيء ليس فيه ما يخجل، لقد كان يثق بي ويعتمد عليّ ولكنه لم يحبني قط، وبوسع المرء ان يحب ويخدم ومع ذلك يكون سعيدا، ولم أكن أريد أكثر مما كان لدي: ثقة وتعاطف وإيمان بي. قال "**بوارو**" :

– وقد فعلت ما بوسعك لمساعدته في محنة فظيعة في حياته، وهناك أمور لا تريدين أن تخبريني بها وهناك امور سأخبرك بها أنا.. أمور فهمتها من معلومات مختلفة جمعتها، وقد قابلت قبل أن آتي إليك أشخاصا آخرين كانوا يعرفون ليس الليدي "**رفنسكروفت**" فقط، لكن أختها "**دوللي**" أيضا وحدثوني عنهما، وإني أعرف عن "**دوللي**" الكثير عن مأساة حياتها، والأسى وربما أيضا الكراهية، ومسحة الشر وحب الدمار الذي قد يورث في العائلات، ولو كانت تحب الرجل الذي كانت

مخطوبة له فلابد من أنها شعرت عندما تزوج شقيقتها بكراهية نحو أختها وربما لم تصفح عنها قط، لكن ماذا عن "**موللي رفنسكروفت**"؟ هل كانت لا تحب أختها؟ هل كانت تكرهها؟

– كلا، كانت تحب أختها، تحبها حبًّا عميقًا يتسم بالحماية وهذا أعرفه جيدا. وكانت هي دائما التي تطالب بأن تأتي أختها وتجعل من منزلها بيتا لها، وكانت تريد أن تنقذ أختها من التعاسة ومن الخطر أيضا؛ لأنه كثيرا ما كانت تنتاب الأخت نوبات الغضب العنيف، وكانت تخاف في بعض الأحيان.. حسنا، أنت تعرف ما فيه الكفاية وقد سبق أن قلت إن "**موللي**" كان لديها كره عجيب للأطفال.

– أتعنين أنها لم تكن تحب "**سيليا**"؟

– كلا، وإنما لم تكن تحب الطفل الأصغر "**إدوارد**" وتعرض "**إدوارد**" مرتين لحوادث خطيرة؛ مرة حدث تلاعب في سيارة كاد يودي بحياته، ومرة نجا من نوبة غضب عنيفة من خالته، وإني أعرف أن "**موللي**" كانت سعيدة عندما عاد "**إدوارد**" إلى المدرسة فهو كان أصغر بكثير من "**سيليا**"، كان في حوالي الثامنة أو التاسعة وفي مدرسة إعدادية وكان من السهل إيذاؤه وكانت "**موللي**" خائفة عليه.

قال "**بوارو**":

– نعم، بوسعي أن أفهم ذلك، والآن اسمحي لي بأن أتحدث عن أربع باروكات وهو عدد أكبر مما تحتاج إليه امرأة واحدة، وقد ذهبت سيدة فرنسية إلى محل في "**لندن**" وطلبت باروكتين، كما أنه كان هناك أيضا كلب تنزه في اليوم الذي حدثت فيه المأساة، وقبل ذلك بقليل كان هذا الكلب قد عض سيدته "**موللي رفنسكروفت**". قالت "**زيلي**":

– هذه طبيعة الكلاب فلا يمكن أن يثق بها الإنسان.

– وسأخبرك بما أعتقد أنه حدث في ذلك اليوم وما حدث قبل ذلك بقليل.

– وإن رفضت الاستماع إليك؟

– ستستمعين إليّ ومن الجائز أنك ستقولين إن الذي تخيلته غير صحيح.. نعم،

هذا شيء يمكن أن تفعليه، ولكنني لا أعتقد أنك ستفعلينه، فإني أقول لك ما أعتقده من صميم قلبي، إن الذي نحتاج إليه هو الحقيقة.. إنه ليس مجرد تخيل.. هناك فتاة وفتى يتبادلان الحب وخائفان من المستقبل؛ نظرا إلى ما يمكن أن يكون قد حدث وإلى ما يمكن أن تكون الفتاة قد ورثته من أبيها أو أمها. إني أفكر في الفتاة "**سيليا**" وهي فتاة متمردة وربما كان من الصعب التحكم فيها، ولكنها ذكية وبوسعها أن تسعد، وهي شجاعة ولكنها محتاجة إلى الحقيقة، وهناك أناس يحتاجون إلى الحقيقة؛ لأن بوسعهم أن يواجهوها دون خوف، وبالشجاعة اللازمة في الحياة لو أن الحياة سيكون لها أي طعم للإنسان، والفتى الذي يحبها يريد هذا من أجلها أيضا، فهل ستستمعين؟ قالت "**زيلي**":

– نعم، إني أستمع؛ فأنت تفهم الكثير وأعتقد أنك تعرف أكثر مما كنت أتخيل.. تكلم وسأستمع.

الفصل العشرون

وقف "**هركيول بوارو**" مرة أخرى فوق الربوة التي تطل على البحر والمكان الذي عُثر فيه على جثة الزوجين، وقبل ذلك بثلاثة أسابيع على جثة امرأة كانت تمشي وهي نائمة فوقعت من فوق الربوة. وكان على موعد مع فتى وفتاة يبحثان عن الحقيقة، ومع شخصين يعرفان الحقيقة. واستدار "**بوارو**" ونظر إلى منزل "**أوفر كليف**" وهو غير بعيد عن مكانه، وكان عليه لافتة تعلن عن بيعه، ورأى سيارة بجوار المنزل فذهب لمقابلة "**ديسموند**" و "**سيليا**". وبعد قليل جاءت سيارة أجرة، وقالت "**سيليا**":

– أظن أن هذه هي السيدة "**أوليفر**"، فقد قالت إنها ستأتي بالقطار وتأخذ سيارة أجرة من المحطة. ونزلت سيدتان من سيارة الأجرة إحداهما السيدة "**أوليفر**" والأخرى امرأة طويلة أنيقة. وبما أن "**بوارو**" كان يعرف أنها ستأتي لم يدهش وراح يراقب ردود الأفعال عند "**سيليا**". وهتفت "**سيليا**" وقفزت إلى الأمام نحو السيدة

وقد أضاء وجهها سرورا، وقالت :

– "**زيلي**" ! أحقا أنت "**زيلي**" ! كم أنا مسرورة! لم أكن لأعرف أنك آتية .

– لقد طلب مني السيد "**هركيول بوارو**" ان آتي .

– فهمت، ولكنني لم أكن لأعرف . وتوقفت عن الحديث وأدارت وجهها نحو الفتى الوسيم الواقف بجوارها :

– "**ديسموند**" هل انت . . . هل أنت؟

– نعم، أنا كاتبت الآنسة "**موهورا**" أو "**زيلي**" ، لو كان لا يزال مسموحا لي أن أناديها بذلك . قالت "**زيلي**" :

– بوسعكما دائما أن تنادياني بذلك . . لم أكن متأكدة من أني أريد أن أحضر . كنت أريد أن أحضر ولكنني لم أكن لأعرف إن كان هذا تصرفا حكيما ومازلت أعرف ولكنني آمل أن يكون كذلك . قالت "**سيليا**" :

– أنا أريد أن أعرف ونحن نريد أن نعرف وقد ظن "**ديسموند**" أنه بوسعك أن تخبرينا بشيء . قالت "**زيلي**" :

– لقد جاء "**بوارو**" لزيارتي وأقنعني بأن آتي اليوم . ووضعت "**سيليا**" ذراعها في ذراع السيدة "**أوليفر**" ، وقالت :

– كنت أريد أن تأتي أيضا؛ لأنك أنت التي دفعت عجلة الأمور، أليس كذلك؟ أنت التي اتصلت بالسيد "**بوارو**" ، كما أنك اكتشفت بنفسك بعض الأمور، أليس كذلك؟ قالت السيدة "**أوليفر**" :

– لقد أخبرني بعض الناس ببعض الأمور التي يتذكرونها، وبعضهم تذكر حقيقة والبعض الآخر تذكر خطأ وكان الأمر محيرا، ولكن السيد "**بوارو**" يقول إن هذا لا يهم . وقال "**بوارو**" إنه استطاع أن يستنتج أشياء كثيرة مما قاله الناس للسيدة "**أوليفر**" ، وقال :

– لقد أعددت قائمة بالأشياء التي بدت لي إشارة إلى حقيقة ما حدث منذ كل هذه الأعوام، وسأقرأ لكم هذه القائمة لأرى إن كنتم أنتم الذين لكم علاقة بالموضوع تشعرون بأن لها معنى فقد ترون معناها وقد ترون الأمر كله بوضوح .

قالت "**سيليا**" :

– إن المرء يريد أن يعرف إن كانت انتحاراً أو جريمة قتل؟ هل هناك شخص غريب قتل كلا من أبي وأمي لسبب لا نعرفه ولدافع ما؟ سأظل دائما أعتقد أنه كان هناك شيء من هذا القبيل.. إنه أمر صعب، لكن... وقال لهم "**بوارو**" :

– إنهم سيجرون في ذلك المكان تحقيقا. وأخرج ورقة، وقال لـ "**سيليا**" :

– هل يجب أن يكون الأمر بالنسبة إليك بهذا التحديد إما انتحاراً وإما جريمة قتل؟ قالت "**سيليا**" :

– لابد من أن أحد الأمرين هو الحقيقة. سأقول لك إن كلا منهما حقيقي، بل ويوجد أكثر من هذا، ففي رأيي أنه ليس لدينا هنا فقط انتحار وجريمة قتل، ولكن لدينا ما يمكن أن نسميه تنفيذ حكم، كما أن لدينا مأساة شخصين أحب كُلٌّ منهما الآخر وماتا من أجل الحب، ومآسي الحب ليست مقصورة دائما على "**روميو**" و "**جوليت**"، والشباب ليسوا هم فقط حتما الذين يتألمون من الحب ويستعدون للموت من أجله.. كلا، ليس الأمر كذلك. قالت "**سيليا**" :

– أنا لا افهم.

– لم تفهمي بعد.

– وهل سأفهم؟

– أعتقد ذلك، فسأقول لك رأيي فيما حدث وكيف وصلت إلى رأيي هذا. وقال لها إن أول ما استرعى نظره هو موضوع الباروكات، فليس من المألوف أن يكون لدى سيدة أربع باروكات وأن الباروكة التي كانت ترتديها عندما ماتت هي باروكة مقصوصة وكان حسبما عرف من السيدة "**روزونتال**" إحدى باروكتين أخريين اشترتهما بوساطة مرافقتها "**زيلي**". قالت "**سيليا**" :

– وهل لذلك معنى خاص بأي حال؟ قد تكون مرتدية أيا منهما.

– هذا محتمل ولكني علمت أيضا أن مدبرة البيت قالت للشرطة إنها كانت ترتدي هذه الباروكة المعينة تقريبا طوال الأسابيع الأخيرة التي سبقت موتها. ويبدو أنها كانت باروكتها المفضلة. قالت "**سيليا**" :

– مازلت لا أفهم. قال "بوارو" :

– كان هناك أيضا دليل.. الكلب.

– الكلب.. وماذا فعل الكلب؟

– الكلب الذي عضها والذي قيل إنه كان يحب سيدته كثيرا، لكن في الأسابيع الأخيرة انقلب عليها أكثر من مرة وعضها بشدة. قال "**ديسموند**" :

– هل تعني أنه كان يعرف أنها ستنتحر؟

– كلا، بل كان الأمر أكثر بساطة من ذلك.

– لا أفهم. قال "بوارو" :

– كان الكلب يعرف ما يبدو أن أحدا لم يعرفه. كان يعرف أنها ليست سيدته، وكانت تبدو مثل سيدته وتلبس ملابسها ومدبرة البيت كانت ضعيفة البصر والسمع، رأت على رأسها إحدى باروكات سيدتها وظنتها هي، وقالت فقط إن سيدتها كانت تبدو مختلفة في آخر أسابيع حياتها. لقد قال "**جرووي**" عن رجل ما إنه.. "الرجل نفسه، لكن قبعة مختلفة"، وخطر لي أن أقول.. " الباروكة نفسها، لكن المرأة مختلفة". لقد عرف الكلب من حاسة شمه أنها امرأة مختلفة وليست المرأة التي يحبها.. امرأة كان يخافها ولا يحبها، وفكرت: إن كانت هذه المرأة لم تكن "**موللي رفنسكروفت**" فمن كان يمكن أن تكون؟ هل كان يمكن أن تكون الأخت التوأم؟ قالت "**سيليا**" :

– ولكن هذا مستحيل.

– كلا، لم يكن مستحيلا. فتذكري أنهما كانتا توأمتين متشابهتين تماما. لقد علمت عن طريق السيدة "**أوليفر**" شيئا عن تاريخ الأختين: كانت تحب كلٌّ منهما الأخرى كثيرا وتتصرفان تصرفا متطابقا في أمور كثيرة، وتلبسان الملابس نفسها عندما كانتا صغيرتين وقد تزوجتا تقريبا في الوقت نفسه، لكن في النهاية كما يحدث لكثير من التوائم بدلا من فعل كل شيء بالطريقة نفسها حصل العكس، وأرادتا أن تتصرفا بالنقيض ونما بينهما بعض عدم الاستلطاف، وكان هناك سبب لذلك؛ ففي الماضي حينما كان "**أليستر رفنسكروفت**" شابا أحب "**دوروتيا**" ثم

تحول إلى حب "**مرجريت**" وتزوجها، وكانت هناك بلا ريب غيرة في ذلك الوقت أدت إلى جفاء بين الأختين، وظلت "**مرجريت**" تحب أختها ولكن "**دوروتيا**" لم تعد تحب "**مرجريت**" كما كانت، ويبدو لي أن في ذلك إيضاحا لأمور كثيرة. وكانت "**دوروتيا**" شخصية تراجيدية، دون أي غلط منها ونتيجة لخلل عضوي، ربما كان وراثيا نتيجة لولادتها أو غير ذلك، كانت دائما مختلّة في قواها العقلية. ومنذ زمن طويل كانت دون أي سبب معروف لا تحب الأطفال.

وليس هناك شك في أنها تسببت في مقتل طفلها، ثم عندما أعلن الأطباء بعد علاجها في مستشفى الأمراض العقلية أنها شفيت وتستطيع أن تعاود الحياة الطبيعية، أصبحت تكثر من زيارة أختها، وزارتها عندما كانت مع زوجها في "**الملايو**". وهناك حدث مرة أخرى حادث راح ضحيته طفل للجيران، ومرة أخرى لم تكن الأدلة ضدها كافية، لكن يبدو أنها كانت المسؤولة عن الحادث وعاد بها الجنرال "**رفنسكروفت**" إلى "**إنجلترا**" وأدخلها مستشفى آخر للأمراض العقلية للعلاج، ومرة أخرى بدا أنها شفيت واعتقدت "**مرجريت**" أن أختها شفيت في هذه المرة، وأن كل شيء سيكون على ما يرام، وأنها يجب أن تعيش معهم لكي يراقبوها ويروا إن كانت ستظهر عليها أي علامة لأي خلل عقلي آخر، ولا أعتقد أن "**الجنرال**" كان موافقا على هذا وأظن أنه كان يعتقد أن المرء الذي يولد بأي عاهة لا يشفى منها أبدا تماما، وأن لديها عيبا في عقلها سيظهر من حين إلى حين، وأنه يجب ملاحظتها باستمرار لإنقاذها من مرضها. قال "**ديسموند**":

– هل تريد أن تقول إنها هي التي قتلت "**الجنرال**" وزوجته؟ قال "**بوارو**":

– كلا، ليس هذا هو الحل... إني أعتقد أن "**دوروتيا**" دفعت "**مرجريت**" من فوق الربوة في نوبة جنونية؛ نتيجة للحقد والكراهية الكامنين في نفسها تجاه أختها التي تشبهها في كل شيء والتي كانت عاقلة وبصحة جيدة بخلافها هي، وأعتقد أن هناك شخصا غريبا عنهما كان موجودا في ذلك الوقت، عرف في ذلك الوقت، وأعتقد أنك أنت يا آنسة "**زيلي**"، قد عرفت. قالت "**زيلي**":

– نعم، كنت أعرف وكنت هنا وقت الحادث وكان "**الجنرال**" وزوجته قلقين من

أجلها في ذلك الوقت عندما رأيا محاولتها لإيذاء الصغير "**إدوارد**" . وأرسل "**إدوارد**" إلى مدرسته الداخلية، وأخذت أنا "**سيليا**" إلى مدرستي في "**سويسرا**" ثم عدت بعد أن أدخلتها فيها، ولم يعد أحد يشعر بقلق بعد أن خلا المنزل إلا مني و "**الجنرال**" و "**دوروتيا**" ، ثم وقع الحادث ذات يوم وخرجت الأختان معا وعادت "**دوللي**" وحدها. وكانت تبدو عصبية وفي حالة غريبة وجلست لتناول الشاي وعندئذ لاحظ "**الجنرال**" أن يدها اليمنى ملوثة بالدماء. وسألها إن كانت قد وقعت، وقالت: "كلا، إنه أمر بسيط لقد شكّتني وردة برية" . لكن لم يكن هناك ورد بري في المنحدرات وشعرنا بقلق.

وخرج "**الجنرال**" وخرجت معه وظل يقول وهو يمشي: "لقد حدث شيء لـ"**مرجريت**" إني واثق بأنه حدث لها شيء" . ووجدناها أسفل الربوة، وكانت مجروحة من الأحجار ولم تكن ميتة، ولكنها كانت قد نزفت كثيرا. ولبرهة لم نعرف ماذا نفعل فلم نجرؤ على تحريكها، وكان يجب أن ناتي بطبيب بسرعة، لكن قبل أن نستطيع أن نفعل شيئا تعلقت بزوجها، وقالت وهي تشهق: "نعم، إنها "**دوللي**" لقد ضربتني بحجر عدة مرات ثم دفعتني من فوق الربوة، ولكنها لم تكن لتعرف ما تفعله.. إنها لم تعرف يا "**أليستر**" .. يجب الا تدعها تعاقب من أجل هذا.. إنها لم تعرف قط لماذا وكيف تتصرف هكذا، وهذا أقوى من إرادتها ولم تستطع أن تتحكم في نفسها قط، يجب أن تعدني يا "**أليستر**" ، أعتقد أنني أموت الآن.. كلا كلا، ليس هناك وقت لاستدعاء طبيب، ولن يستطيع الطبيب أن يفعل شيئا.. لقد نزفت حتى الموت، وقد اقترب مني الآن.. إني أعرف هذا، لكن عدني.. عدني أن تنقذها.. عدني أنك لن تترك الشرطة تقبض عليها.. عدني أنها لن تحاكم لقتلي ولن تحبس مدى العمر كمجرمة.. أخفيني في مكان ما حتى لا يُعثر على جثتي.. أرجوك، هذا آخر شيء أطلبه منك أنت الذي أحبه أكثر من أي شخص في العالم، لو كان بوسعي أن أحيا من أجلك لفعلت ولكني لن أعيش، إني أشعر بذلك والموت يزحف نحوي، لقد زحفت قليلا ولكن هذا كل ما استطعت أن أفعله. عدني.. وأنت أيضا يا "**زيلي**" أعرف أنك تحبينني أيضا

وقد اعتنيت بي وأحببت اولادي، عدينى من أجل الحب الذي يحمله كلٌ منا إلى الأخر يجب أن تنقذي "**دوللي**"". قال "**بوارو**":

– وماذا فعلت بعد ذلك؟ يبدو لي أنكما لابد بطريقة ما..

– نعم، لقد ماتت بعد هذا الكلام بحوالي عشر دقائق وساعدته في إخفاء جثتها في مكان أبعد قليلا وحملناها إلى هناك، وأخفينا جثتها بالحجارة على قدر الإمكان، ولم يكن هناك طريق ممهد يؤدي إلى هذا المكان فاضطررنا إلى حملها في الطريق الوعر ووضعناها هناك، وكل الذي قاله "**أليستر**" هو مرة تلو مرة.. "لقد وعدتها ويجب أن أحافظ على كلمتي ولا أعرف كيف أفعل ذلك، كيف يمكن لأي إنسان أن ينقذها؟ أنا لا أعرف". ولكننا أنقذناها.

وكانت "**دوللي**" في المنزل وكانت خائفة في حالة يأس قاتل، لكن كانت في الوقت نفسه تظهر رضا فظيعا، وقالت: "كنت دائما أعرف، بل وعرفت منذ عدة أعوام أن "**موللي**" كانت شريرة في الحقيقة، لقد اخذتك مني يا "**أليستر**" وجعلتك تتزوجها وكنت أعرف دائما أني في يوم ما سأنتقم منها.. كنت أعرف هذا دائما.. والآن أنا خائفة، ماذا سيفعلون بي؟ وماذا سيقولون؟ لا أستطيع أن أحبس مرة أخرى لا أستطيع.. لا أستطيع.. لن تتركهم يحبسونني مرة أخرى، سيأخذونني وسيقولون إني مذنبة وقاتلة.. لم تكن جريمة قتل.. بل كان يجب أن أفعل ذلك وفي بعض الأحيان أشعر بأنه يجب أن أفعل أشياء معينة. كنت أريد أن أرى الدم غير أني لم أستطع أن أنتظر وأرى "**موللي**" وهي تموت. لقد هربت ولكنني كنت أعرف أنها ستموت وكنت أرجو ألا تعثرا عليها، وكان الناس سيقولون إنها سقطت من فوق الربوة وأنه مجرد حادث". قال "**ديسموند**":

– إنها رواية فظيعة. قالت "**سيليا**":

– نعم، إنها رواية فظيعة، لكن من الأفضل أن يعرف المرء، أليس كذلك؟ وأنا لا أشعر حتى بالشفقة من أجل أمي، فأنا أعرف أنها كانت لطيفة ولم يكن بها أي أثر للشر. كانت طيبة حقا وأنا أعرف وأفهم لماذا لم يرض أبي أن يتزوج "**دوللي**" وكان يريد أن يتزوج أمي؛ لأنه أحبها ولأنه اكتشف أن هناك شيئا غير طبيعي في

"**دوللي**" .. شيئا ملتويا وشريرا، لكن كيف قمتما بالأمر كله؟ قالت "**زيلي**" :

– لقد كذبنا كثيرا وكنا نأمل الا يتم العثور على الجثة، كي نستطيع فيما بعد أن ننقلها إلى مكان آخر وندعي أنها وقعت في البحر، ثم فكرنا في قصة المشي في أثناء النوم وكان الذي علينا أن نعمله هو أمر بسيط جدا. لقد قال "**أليستر**" : "إنه أمر مخيف ولكني وعدت.. لقد اقسمت لـ "**موللي**" عندما كانت تحتضر.. أقسمت أن أفعل ما طلبته، وهناك طريقة، طريقة ممكنة لإنقاذ "**دوللي**"، لو كان بوسع "**دوللي**" فقط أن تقوم بدورها ولا أعرف إن كانت قادرة على ذلك"، وسألته: "وما هذا الدور؟" . قال "**أليستر**" : "أن تتظاهر "**دوللي**" بأنها "**موللي**" وأن "**دوروتيا**" هي التي وقعت وهي تمشي وهي نائمة وماتت" . واستطعنا أن ننفذ ذلك.

لقد أخذنا "**دوللي**" إلى كوخ خال كنا نعرفه وبقيت فيه معها لبضعة أيام، وقال "**أليستر**" : "**موللي**" نقلت إلى المستشفى وهي مصابة بصدمة بعد أن اكتشفت أن أختها سقطت من فوق الربوة ليلا وهي تمشي وهي نائمة" . ثم أعدنا "**دوللي**" .. أعدناها كـ "**موللي**" وهي ترتدي ثياب "**موللي**" وباروكاتها. واشتريت باروكتين إضافيتين من العجوز "**جانيت**" الضعيفة البصر وكانت "**دوللي**" تشبه "**موللي**" كثيرا كما تعرفون وكان صوتهما متشابها وتقبل الجميع بسهولة أن هذه هي "**موللي**"، تتصرف ببعض الغرابة من حين إلى آخر؛ لأنها لا تزال تعاني الصدمة، وكان الأمر كله يبدو طبيعيا جدا وكان هذا هو الجزء المفزع فيه. قالت "**سيليا**" :

– لكن كيف استطاعت أن تكمل الدور؟ لا يبدو أنه كان صعبا جدا.

– كلا، لم تجده صعبا، فقد حصلت على ما كانت تريده.. ما كانت دائما تريده. لقد حصلت على "**أليستر**" .

– لكن كيف استطاع "**أليستر**" أن يتحمل ذلك؟

– لقد أخبرني كيف ولماذا تحمل ذلك في اليوم الذي رتب لي العودة إلى "**سويسرا**"، وقال لي ما يجب أن أفعله، ثم قال لي ماذا سيفعل هو.. قال: "هناك

أمامي شيء واحد فقط أستطيع أن أفعله، لقد وعدت "**مرجريت**" ألا أسلم "**دوللي**" إلى الشرطة وألا تعرف أبدا أنها كانت قاتلة وألا يعرف الأطفال أبدا أن خالتهما كانت قاتلة. إن "**دوللي**" بالنسبة إلى الجميع ماتت هنا وستدفن في الكنيسة". وقلت له: "إني لا أستطيع أن أتحمل الأمر، وكيف يمكن أن تسمح بذلك؟". قال: "من أجل ما سأفعله ويجب أن تعلمي به فيجب أن تكف "**دوللي**" عن الحياة، فلو اقتربت من أطفال فستزهق أرواحا أخرى، يا للمسكينة إنها لا تصلح للحياة، لكن يجب أن تفهمي يا "**زيلي**" أنني يجب أن أدفع الثمن بحياتي ثمنا لما سأفعله، سأعيش هنا في هدوء لبضعة أسابيع قليلة مع "**دوللي**" وهي تلعب دور زوجتي ثم ستحدث مأساة أخرى". ولم أفهم ما يعنيه، وقلت: "حادث آخر" والمرء يمشي وهو نائم؟ قال: "كلا، إن ما سيعرفه العالم هو أني أنا و"**موللي**" سننتحر، ولا أظن أن أحدا سيعرف السبب، وقد يظنون أنها كانت معتقدة أن عندها مرض السرطان، أو أني كنت أعتقد ذلك، لكن يجب أن تساعديني يا "**زيلي**" فأنت الوحيدة التي تحبني حقيقة وتحب "**موللي**" والأولاد. ولو كان يجب أن تموت "**دوللي**" فأنا الشخص الوحيد الذي يجب أن يفعل ذلك ولن تكون خائفة أو تعسة، سأضربها بالنار ثم أضرب نفسي وستظهر بصماتها على المسدس؛ لأنها كانت قد أمسكت به منذ مدة قصيرة وستكون بصماتي أنا أيضا على المسدس، ويجب أن تأخذ العدالة مجراها، ويجب أن أكون أنا الجلاد والذي أريد أن تعرفيه هو أني كنت – ومازلت – احبهما هما الاثنتين. "**موللي**" أكثر من حياتي و "**دوللي**" لأني أشفق عليها كثيرا لأنها ولدت هكذا.. تذكري هذا دائما". ونهضت "**زيلي**" وتقدمت نحو "**سيليا**"، وقالت:

– انت الآن تعرفين الحقيقة وكنت قد وعدت أباك أنك لن تعرفي أبدا، لقد حنثت بوعدي ولم أكن أنوي قط أن أكشف لك أو لغيرك الأمر، إن السيد "**بوارو**" جعلني أشعر بشعور مختلف إزاء الأمر ولكن كم هي قصة فظيعة! قالت "**سيليا**":

– إني أفهم شعورك وربما كنت محقة من وجهة نظرك ولكني.. ولكني سعيدة لأني عرفت، ويبدو لي الآن أنه قد أزيح حمل ثقيل عن كاهلي. قال "**ديسموند**":

– إنها كانت مأساة كما قال السيد "**بوارو**"، كانت مأساة حقيقية لشخصين

أحب كلٌّ منهما الآخر ولكنهما لم يقتل كلٌّ منهما الآخر، لكن قتل أحدهما ونفذ الآخر حكم الإعدام في القاتلة من أجل الإنسانية؛ لكيلا يتعذب أطفال آخرون.. ويمكن للمرء أن يسامحه لو كان مخطئا، لكن أنا لا أعتقد أنه كان مخطئا. وقالت "**سيليا**":

- كانت دائما امرأة مخيفة، وكنت أخاف منها وأنا طفلة ولا أعرف لذلك سببا. إني أحب أن أفكر فيما كُتب على قبرهما "لم يفرقهما الموت" إنه لا يعني أنهما ماتا معا ولكنني أعتقد أنهما الآن معًا.. شخصان كان يحب كلٌّ منهما الآخر كثيرا وخالتي المسكينة التي سأحاول أن أفكر فيها بطيبة أكثر مما كنت.. خالتي لم تعذب من أجل أمر لا حيلة لها فيه، سأحاول أن أشعر بالرثاء لها، وأما أبي وأمي فلن أقلق من أجلهما بعد ذلك؛ لقد كان يحب كلٌّ منهما الآخر كثيرا، وكانا يحبان "**دوللي**" المسكينة التعسة. وأجمع الجميع على المحافظة على هذا السر وانصرفت "**سيليا**" و "**ديسموند**" وقد عزما على الزواج وحياة سعيدة، وتقدم "**بوارو**" من "**زيلي**" يودعها ويشكرها، ثم قال:

- هناك شيء أود أن أسألك إياه.. ألم يكن يحب "**دوللي**" مثلما كان يحب "**موللي**"؟

- كان يحبهما هما الاثنين حتى النهاية؛ ولذلك كان على استعداد لإنقاذ "**دوللي**"؛ ولذلك طلبت منه "**موللي**" أن يفعل ذلك، لكن من التي كان يحبها أكثر؟ إني لأتساءل فهذا أمر لن أعرفه أبدا. ونظر إليها "**بوارو**" لحظة ثم استدار ولحق بالسيدة "**أوليفر**"، وقال:

- سنعود إلى "**لندن**" بالسيارة، ويجب أن نعود إلى الحياة اليومية وننسى المآسي والغراميات. قالت السيدة "**أوليفر**":

- الأفيال تتذكر، لكن من رحمة الله أن الإنسان يستطيع أن ينسى.

تمت بعون الله